

النزوح نحو الممكن

قصص قصيرة



دار الفراعنة للنشر والتوزيع

مجموعة قصصية

النزوح نحو الممكن

أسم المؤلف: ميثم الخزرجي

الطبعة الثانية

—

التدقيق اللغوي: دار الفراعنة

التجهيزات الفنية والطباعة:

دار الفراعنة للنشر والتوزيع

• رقم الإيداع: 5321 / 2025م

• الترقيم الدولي: 7 - 38 - 8883 - 977 - 978

- الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأي المؤلف في المقام الأول.
- حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للناشر، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً، أو إتاحتها عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف ومن الناشر.

ميثم الخرجي

النزوح نحو الممكن

قصص قصيرة

٢٠٢٥

الإهداء

إلى ذلك الهمّ
الذي يمارس فورتهُ فينا
ليجعلنا نكتب

جمال فضاء

لم أعر أيَّ اهتمامٍ للعربة التي كانت تقل النسوة
المتشحات بالسواد، فقد كنت منشغلاً بضم ما
بحوزتي من حاجيات؛ لئلا تسقط أحدهن من
تعرجات الطريق الذي جعلني أنزاح يميناً وشمالاً
كبندول الساعة، فلا تسمع ممن ارتضى لنفسه أن
يكون أحد راكبي العربة؛ سوى جملٍ غير متزنة،
مبعثرة، بل بالكاد تنطلق الكلمات لتصل إلى مسامع
الحوذي، حال وصولي إلى المكان الذي اعتزمت
نيتي إليه، استرجعت قدمي المتدليتين من العربة
بحركةٍ لا إرادية، ثم ما لبثت أن اتكأت على راحة
يدي الشمال، وأطلقت كلمة "توقف" إلى الحوذي،
متبوعةً بفقرةٍ تخللتها الاستعانة بالله وأوليائه
الصالحين:

- أمرك يا سيدي أمرك، تقصد بيت المعلمين.
- نعم نعم دار المعلمين - مع ابتسامة خجلة -
- تفضل تفضل.

- شكراً لك.

- حياك الله أستاذ - وبلهجتة الجنوبية - وكأنه يعرفني منذ أمد بعيد.

ترجلت مستفهماً عن بهجة المكان بالسير على
هوانةٍ من أمري، مستشفاً بأنظاري المتوهجة التي
أخذت تسرف بالتحديق لما رمقت من بساطة
وروعة المكان، السماء فاتحة الزرقة تعانقها غيوم
بيضاء ناعسة، محتواة من ضوء الشمس المنتشر في
مديات الكون، لتشرق معلنة البهجة والضياء على
من في الأرض، الشجيرات الخضراوات
متعاضدات الواحدة تلو الأخرى، تراهن منتصبات
القوام، باسقات الطلع، دانيات الجدائل، بلونها
الشديد الخضرة، تتمايل بغنج جمعي منسق عند
مداعبة أنسام الهواء لها؛ لتجذب المسامع بحديثها
الرقراق، سابعةً لمن انغمس في تراتيلها الملائكية
كورال من فنارات الحياة والأمل، لتعزف أبهى
وأصدق أنغام السماء، فنقتفي أثرها تهاليلاً وحبوراً
منقطع النظير، زقزقات العصافير اللواتي يرفعن
أسمى آيات الرخاء والاطمئنان، لينذرنا بصباح
جلي خالٍ من الرتابة، أورد الزينة هنا وهناك، خير

الماء أسمعته جيداً، يسير بلحنٍ واحدٍ، لا تغير من انسيابيته المنتظمة هذه؛ سوى مداعبة البط له الذي يضيف رونقاً وحلاوة إلى هذه المسحة من الجمال، الأصوات والأشكال جميعها ترفل ببداهة ساحرة، كل شيء طبيعي في هذا المكان، وحسبي أن طبيعة أهل الريف غير المتكلفة تأت من سحر الأجواء التي ينعمون بها، حاولت تخفيف هذه الدهشة الشهية التي تقمصتني، وربضت في مخيلتي جراء عذوبة المكان، تقدمت بخطوات واثقة لا تخلو من الجديد الممتع، لأتسمر أمام بناية كبيرة، شبه هرمة، مطلية بطلاء بني فاتح، تعاضدها مجموعة ليست بالقليلة من أشجار اليوكالبتوز، مكتوب عليها "القسم الداخلي للمعلمين"، حمدت الله على وصولي سالما غانما، فما إن دنوت من باب دخول القسم، لأستقبل بحفاوة وتهليل من قبل حارس البناية، الذي أسرع بجريه نحوي مبادراً بحمل حقائبي فضلاً عن واجب الترحيب الدمث:

- أهلاً ومرحباً أهلاً ومرحباً... تفضل أستاذ...

تفضل هنا هنا... -وأجلسني على كرسيه-

- أستاذ مدرس جديد.

- نعم.
- أكيد بمدرسة "المعرفة".
- نعم... وكيف عرفت - مع ابتسامه حذقه -
مدير القسم اخبرني سيصل كادر لمدرسة
المعرفة... تفضل لأستاذ هاني مدير القسم.
- تقدمني حارس الدار بترحيبه المتكرر إلى غرفة
المدير الواقعة في الجهة اليسرى من باحة الدخول،
فما إن وصلت إلى الغرفة لأتعرّف على مدير القسم
الذي أبدى ترحيباً لا يقل أهمية عن الحارس،
مباغتا إياي بالسلام "أهلاً بالمدرس الجديد":
- حياكم الله أستاذ.
- أهلاً تفضل، منادياً على الحارس.
- حاج شنان..... حاج شنان:
- أمرك أستاذ.
- أين واجب الضيافة؟ - مغيراً وجهته نحوي -
ماذا تحب أن تشرب؟
- عفواً أستاذ... لو تفضلت عليّ بقليلٍ من الماء
- مصحوباً بالثفافة سريعة إلى الحاج شنان -
- من أي محافظةٍ أستاذنا الكريم؟
- من بغداد.

- أهلا وسهلا بالناس الطيبين... كيف كان حال الطريق؟ هل أنهكك؟ نحن على علم بحال المدينة.
- على العكس تبدد التعب برؤيتكم.
- وسائل النقل داخل القرية بدائية جدا مجاراةً لحال الطرق.
- هذا صحيح بدخولي لمركز المدينة امتطيت الربل.
- ها - أطرق قليلاً ثم أردف قائلاً - وما هو اختصاصك.
- اللغة العربية.
- جميل جميل.
- تفضل أملاً هذه الاستثمارة لحجز مكان في الدار.
- حالما أكملت ملء الاستثمارة التي تضمنت بطاقتي الشخصية، وتاريخ حضوري إلى الدار تم تسليمها إلى السيد المدير الذي استقبلها مني بأدب جمٍّ، وقد استرقها بنظرة خجلة، ثم أشاح عني قليلاً إلى الطرف المواتي من المكتب حيث درج الملفات، بفتح ملفّة خاصة بي، ومن ثم اردفني قائلاً:

- أستاذ علي بعزمه ومشيتته ستقيم في الطابق الثاني غرفة رقم (١٢)، وسيكون معك أستاذ (عبد الجبار) مدرس التاريخ، وأستاذ (كوريس يوحنا) مدرس الطبيعيات.

- على الرحب والسعة.

ثم اخذ ينده الحاج شنان بحمل حقائي إلى الغرفة، فضلاً عن توصيته بمتابعة احتياجاتي ريثما انتهي من تفرغها.

لم يمهلني السيد المدير من الحديث إلا يسيره، مع ذلك فقد أمتعني استطراده اللبق واستوقفتني اقتناصاته الذكية لمواضيع شتى، له قابلية ساحرة على سحب الطرف المقابل ليدعن محباً متجاوباً معه بالحديث، فضلاً عن غزارة جملته المحبوبة التي جذبتني إليه بمغناطيسية عالية، فتارة يفهرس كلامه على أوجه عدة عن مناهج التربية والتعليم، وعن إقدام المدرس المواظب على معرفة درجة استيعاب طلبته من خلال التواصل معهم ومتابعتهم، بالإضافة إلى اهتمامه بالثقافة العامة، وتارة أخرى يحلق في فضاء من البلاغة والفلسفة عن طريق ضرب بعض الأمثلة كشاهد على حديثه

أو الإتيان بأبيات من الشعر العربي كيان صورة
على صحة ما يقول، فلم يبهمني ويدهشني وحسب
بل جعلني استقي من تواضعه وكلامه الجزل الكثير
الكثير، رجل تجاوز الخمسين على حسب تخميني
له، متوسط القامة، كثيف الشعر، كثير التفحص لمن
حوله، لم يعتق مؤخرة السيكرة لأخر زفير، كمن
يمضغ بألم مهول ليستوعبه هذا الكم الهائل من
الدخان، حالما يحد النظر إليك من وراء نظارته
البرونزية ذات العدسات الكبيرة والإطار العريض،
فاعلم انه سيتسم لك بسبب أو من دونه، ليبدأ
بموضوع آخر بعدما ينتهي من سابقه.

كانت سعادتني لا توصف، بل لازمتني نية
معانقته لولا هالة اللقاء الأول، فعندما اخبرني بحال
حصولي على مكانٍ للسكن، زایلني همٌّ جاعلاً من
يافوخ راسي بؤرةً للتخمينات، فقد كنت متصوراً
بان هنالك بعضاً من المعوقات التي قد تفاجئنا
جراء الروتين السائد في الدوائر الحكومية، ولكن
كل شيءٍ سار على أتم وجه وبوقت قياسي والحمد
لله، استدار المدير من مكتبة بهياته الرسمية الرزنة
متبادلاً معي السلام على أمل اللقاء به عن قريب،

وقبل خروجي أبصرت مجموعةً من الكتيبات
الموضوعة على الطاولة المرافقة لمكتب السيد
المدير، أمعنت النظر متسللاً بأنظاري المتفحصة
ليتملكني كتابٌ (لهيجل) وعن فلسفته المبهمة،
انفرجت أساريри متيقناً عن سبب إسرافه
بالتدخين، تماديتُ بخطواتي المترتبة إلى باب
الخروج مودعاً إياه بفرح غامر، لأشاهد الحاج
شنان منتظراً لمرافقتي إلى الغرفة.

(1)

التزمت السكوت؛ استجابةً للقادم الذي على بعد
خطوات من الولوج به، كانت خطواتي متسارعة
متوثبة وأنا ارتقي سلالم الطابق الأول، لتتناهى إلى
مسامعي تمتعات الحاج شنان، لأسمعه يفرد شكواه
بحيف، تراخت خطواتي إمعاناً لهذا الرجل الكهل،
حتى أوصلني إلى غرفة رقم ١٢ ليأتي الصوت من
عمق الممر:

- هااااا... حاج شنان مدرس جديد...
وبصوتٍ راكز.

- ها ها ها.. أهلاً أستاذ.. نعم مدرس جديد...

-ليستعجلني المجيء- مبتسماً لي الحاج شنان
هذا هو أستاذ كوركيس -وبصوتٍ خفيض-.

بدت بوادر الترحيب وعلامات البهجة تفوح من
كلام الأستاذ كوركيس، أحسست بحالة غريبة نحوه
وكأنه أفرغ ما بحوزته من الصبر لينال الرجاء
بوصولي، كانت ارتساماته تبوح مشاعره الصادقة
المحفوفة بأسئلة ومواضيع كثيرة:
- تفضل تفضل أستاذ للغرفة.

ادخل الحاج شنان حقائبي بتأنٍ ليضعها في
منتصف الغرفة، متكفلاً بتهيئتها وترتيبها في الخانة
المعدة لي، ليستدير إلى الأستاذ كوركيس:

- لقد تأخر أستاذ عبد الجبار اليوم.
- لديه حصة إضافية يا حاج.
ثم غادرنا متأملاً مني أن أبادر بطلب خدمة منه
بدافع المحبة والطيبة التي يحملها هذا الرجل.
- جزيل الشكر يا حاج.
- هذا واجبي أستاذنا العزيز.

بعدها أكملت ترتيب أغراضي، ومعرفة السرير
الذي أنام عليه، سحبتني قدماي إلى الحمام لإزالة
غبار الطريق ومتابعه، ليستأذني الأستاذ كوركيس

بتحضير وجبة الغداء ريثما انتهى من الحمام، وإتيان الأستاذ عبد الجبار من الدوام، ليستقر بي الحال في غرفة الاستراحة، جلست قليلاً ثم استعنت بما بقي لدي من الرغبة بل الفضول للقراءة، لأحد النظر إلى رفوف بسيطة مثبتة على الجدار المقابل لباب الدخول مكللة بمجموعة من الكتب المصفوفة بشكلٍ عمودي على طول الجدار، مما تستهوي العقل قبل أي شيءٍ آخر، استقمت من مكاني مباغتاً أستاذ كوركيس للسماح لي أن اقلب ما وقعت أنظاري عليه:

- لك ما تشاء أستاذ.

تبعث القصاصات الملصقة على الكتب، محاولاً أن اسحب ما تجود به قريحتي من الرف ليجذبني كتابٌ آخر بمحتواه فهنا رواية لـ(ماركيز) وهنالك بحوث نقدية لـ(ستيفن سبندر)، وما أسرفت النظر إليه ديوان للمعري فضلاً عن كتب تعنى بالفلسفة الخ...، هذه الرفوف المتهالكة تحتوي على كنوز من المعرفة تزرع بها غرفة الاستراحة، تمادت قدماي لانتصف المكان وبحوزتي ديوان المعري مقلباً أوراقه بتأنٍ محكمٍ متأكداً بأن هنالك المزيد المبهر

من الجمال تحمله هذه الرفوف البسيطة بقوامها
الكبيرة بمحتواها، جالسا على أريكةٍ ملقاة في
الغرفة مستجمعاً ما بحوزتي من نهمٍ للقراءة،
لتصفعني طرقة الباب التي سحبتني عنوةً من عالم
جزالة اللفظ وتراكييه المحبوبة، متيقناً أن القادم هو
الأستاذ عبد الجبار لأستعجله بالترحيب بعدما
أودعت المعري عليّة أفضل الشعر مدثراً إلى مكانة
الهرم الذي لا يأبى هو الآخر أن يغادره:

- حمداً لله على السلامة أستاذ.

- شكراً لك.

- إن شاء الله تنعم بالراحة.

- بوجودكم.

- تفضل... تفضل... أستاذ.

- مرتمياً بسؤاله إلى الأستاذ كوركيس.

- وما هي طبختك اللذيذة لهذا اليوم؟

- غير ملابسك وسوف تعرف.

لتحتوينا مائدة الغداء بودٍ وحميميةٍ متبادلين
جمل التعارف والتحابب فيما بيننا، فضلاً عن تبادلنا
لذيذ الطعام، تواصلت غزارة المواضيع من قبل
الأستاذ كوركيس، منوها بالحديث إلينا لنعلن

استجابتنا عن بعض منها، فيما استوقفنا البعض الآخر مستعينين بها كمحل نقاش وطرح آرائنا باسترسال عفوي، فقد سَبَرنا أغوار مواضيع لا تنقصها الجدية بعدما اعتمر مزاجنا بشاي وسيكاره أعطت للنقاش حضوره الفعال في معرفة اتجاهات الإخوة الأساتذة وانتماءاتهم الفكرية.

اتسع الحديث أكثر فأكثر ليأخذ مدياته الذوقية في استحباب الشعر وتقارب الأديان، وعن ادلجة الإنسان وتطرفه بعدم تقبل الطرف الآخر... تحدثنا طويلاً ضحكنا وتشاركنا الهموم، متطلعين لغد مشرق استفدنا من بعضنا البعض بوجهات النظر، لتسترقني مخيلتي وأنا استمتع بقفشات الأستاذ عبد الجبار التي تعطي لحديثنا هذا فسحة من الرخاء بأن هنالك وطناً مصغراً جداً بحجم غرفة الاستراحة يسعنا بهمومنا وأحلامنا المؤجلة، بما نحمله من وجع وإبتسامة محفوفة بشجنٍ منغمسٍ بكينونتنا، وطنٌ تتعاضد فيه الآراء وتهتاج فيه الأنفس، وطنٌ يحتوي بوحاً إنسانياً يتضوع من بين ثنايا غرفة رقم (١٢) ماداً ذراعيه بحنو وتفاؤل ضامنا إليه غير مصنف على أساس عرقي أو مذهبي، لا ينقصه إلا

المزيد من أبنائه الذين لوئتهم مفاهيم المعوزين
وعياً... سحبتني مخيلتي إلى هناك محاولاً أن أقارن
مساحة بلدي المكدر بمساحة غرفة الاستراحة التي
ارتقت بان تكون وطناً يزخر بالأمل، ليداهمني
الغسق سريعاً معلناً استسلامي إليه متهيئاً لاستقبال
صباح دراسي جديد يولد في مدرسة المعرفة.
- اسمحوا لي.

- تصبح على خير أستاذ علي... ولنا مع
الحديث جلسة أخرى.
- بالطبع... وأنتما من أهله.

(2)

لم نل من أحلامنا المنتقاة سوى الجدوى التي
تتفتق ما بين الفينة والأخرى لدفعنا قُدماً لإصلاح
الذات وغرس مفاهيم أضحت مغيبة بعض الشيء
في ظل أجواء مأفونة أو مشتولة في تخوم التخلف،
فالحظظة المرتقبة قد أزفت والغاية المرجوة قد
حانت لئتمطي جياذ عزيمتنا بانتزاع يوم مغاير
بصفائه وبهائه ليضفي على المستقبل سمة الأمل
مجتذباً ما يحتويه من مفاتن الحياة.

تجليات تلميذ أو تداعيات وطن...

أدركتنا الساعة السادسة والنصف، ها هو منه الصالة ينذرنا بتفتح وردة الصباح؛ ليستعجلنا القيام الأستاذ عبد الجبار بتحضير وجبه الفطور السريعة، القسم الداخلي اكتظ بالأصوات الصباحية وصلوات الحاج شنان طفقت تمور ما بين ممرات البناية تاركةً نفحات عبقة ملؤها الاطمئنان.

يومٌ مفعمٌ بالأمل، متوجهين جميعاً إلى مدارسنا التي تحيط بدار المعلمين أو ربما تتعد بعض الشيء عنها، ومن حسن حظي أن متوسطة المعرفة كانت شبه مجاورة لدار المعلمين هذا ما أسقط فكرة امتطاء الربل مرةً أخرى، أو قد أعاود ركوبه بدافع الفضول لمعرفة المزيد عن واقع المدينة التي أقطن بها، فها أنا قد تحولت من بيئة معلومةٍ بالنسبة لي بحكم النشأة إلى مدينة أجهل معالمها، ومن حياة كانت مسيرةً بمن حولي، إلى الاعتماد على النفس ومشاركة زملائي همومهم، أو ربما نشترك بماهية الهم كوننا على تماس ببعضنا، ليتابني شعور لا أعرف كنهه، وأنا اتماهل بمسيري مع

أصدقائي المعلمين للخروج من البناية، بأن أتجاوز العقبات التي قد تحصل تماشياً مع بساطة الأجواء التي تزخر بها المدينة.

لم أبادر بالسؤال عن مكان المدرسة فقد سبقني الحاج شنان بإيماءٍ منه -على طول الشارع- بعدما أودعني ظرفاً من قبل السيد مدير الدار كبيان على صحة مستمسكاتي ليتم تسليمها إلى إدارة المدرسة، أضحت ارتساماتي ساهمةً وأنا أسترق النظرات إلى من حولي من المدرسين، ليتعالى سؤالٌ أوقدت جذوته كهولة الوقت -هل لديك الحصة الأولى- حماس المدرسين ممتع وتهافت الصبية الريفيين أكثر متعة بل أكثر ضياءً وهم ينحدرون من خلال الطرق المتعرجة المكسوة بأوجاعهم والصرائف المكورة المنغمسة بأنينهم، يمرحون بعدوهم المتحفز إلى قفزاتٍ ضاحكةٍ تتطاير من أفواههم كلمات عبث الأصدقاء، ولكن سرعان ما يكتفون بـ -حياك الله أستاذ- عندما يتفاجؤون بمشاهدتنا؛ لتستوقفنا ارتباكاتهم المحشوة بجمل عائرة تنهال علينا باحترام وافر وهم يشيعوننا إلى المدرسة، وأنا على بعد خطوات

من الدخول إلى المدرسة التي اعتلتها يافطةً
مكتوبٌ عليها بخطٍ كحلي، أو ربما الأسود الذي
بهت لونه "متوسطة المعرفة للبنين" .. انزويت جانباً،
ماداً ببصري نحوها تماذيت إليها بمسيرٍ متد
متفحصاً هيكلها المتهرئ لا عزم الدهشة... ثمة
حزنٌ شفيف راح يحاكي دواخلي لتظهر ابتسامة
خجلة نزت لتقول ما هذا المكان؟... هل هو مكان
لطلب العلم؟... أم ماذا؟... حُجِرَ مِنيّةً من الطين،
ينتصفها مكان مفتوح غير مستوٍ علّه يكون مكاناً
لفسحة الطلبة في وقت الاستراحة، لون المكان بني
غامق يسوّره جدار مترهل على اعتقادٍ بأنه يوصد
النظر للصرائف التي تحيطه، الحجر مصفوفة
الواحدة تلو الأخرى بطريقة غريبة وكأنها مستنداتٍ
على بعضها البعض خشية الوقوع، لترتقي هامتها
قطعةً من خشب الصنوبر مكتوب عليها شعبة (أ -
ب) وهكذا دواليك، ازدادت مجاميع الصبية غير
المنتظمة وهم يتأبطون كتبهم، ليوفروا الجلبة في
فضاء الفسحة مصحوباً بتوافد المدرسين، لربما
يومض المكان بالحقيقة المكتناه على الرغم مما
وجدته من يأس تتمرغ به مساحة التعليم،

استدرجتني أنظاري ساحبةً جسدي إلى حجرة الإدارة، ليتم تسليم الظرف إلى السيد مدير المدرسة، الذي أبدى ارتياحه لإكمال نقص الكادر في المدرسة:

- أستاذ علي سوف نعطيك "الصف الثاني".

- لك ما تشاء أستاذ.

كان بودي أن يكون وضع المدرسة أحسن حالاً مما عليه الآن، وحسبي أن لروعة المكان أثره الفعال في نفوس هؤلاء الصبية، ولكن ما أن شرعتُ ببدء يوم دراسي جديد وإعطائي جدول الحصص انتابني شعور بمكاشفة هؤلاء الصبية ورؤيتهم... بماذا يفكرون؟... ما هي أحلامهم؟... هل هنالك جمالٌ مضمّرٌ يختلج دواخلهم... ثمة ما أسعى جاهداً وراءه هو التنقيب عن مكامن الأمل، وكيف يكون الأمل بيوت الصرائف ومدارس الطين؟ كيف للأمل أن ينمو في نفوس هؤلاء الصبية؟ وكم هي درجته؟ وهم يرون أهلهم يعدون مسرعين وراء رغيف العيش ملتفعين لفاع الحيرة في سبيل أن يوفروا لهم ابسط سبل الحياة، هل أن دخولهم المدرسة غاية أم هدف أو ماذا؟... يا الله...

يا الله.. شعرت بالدوار من شدة التفكير محاولاً
استجماع بقاياي المبعثرة ليوظني جرس المدرسة
للدخول إلى الحصة.

أصبح الطلبة يهمسون بصوتٍ مسموع -مدرس
جديد- مع إسقاط الجيم وتخفيفها إلى ياء،
ليستقبلوني بابتسامةٍ مستفهمة:

- لغة عربية.

- نعم أحبتي.

انتابني ذلك الإحساس الغريب وأنا أنفحص
حجرة التدريس جيداً، أرضية المكان، جلوس
الطلبة غير المريح... ملابسهم غير المنسقة، لأبدأ
حديثي عن مناخ القراءة وعن تنظيم الوقت وعن
المستقبل الواعد الذي يستقبلهم، حاولت انتزاع
شيء بسيط من أحلامهم أو بماذا يفكرون، أضحت
أنظارهم الجدية الموجهة نحوي علامات تعجب
وهم يصغون إليّ بكل ترقبٍ واحترام لترتفع أيادي
الطلبة:

- أستاذ أنا احلم أن أكون طبيباً مثل طبيب القرية
أعالج الفقراء....

- جيد... ولكن عليك الاجتهاد والمثابرة.

- إن شاء الله أستاذ.
- الآخر: أستاذ احلم أن أكون مهندساً زراعياً...
- أتوجه لأراضي المزارعين.
- ممتاز.

استفزني ذلك الطالب الجالس في المتصف، إذ لم يكن على قدرٍ كافٍ من الاكتراث على الرغم من هدوئه الجزل، كان في الواقع شديد الهدوء ولكن لم تبدُ على محياه استجابة الحديث، مما دعاني أن أكشفه بسؤالٍ جعله يتلعثم باديأً عليه بوادر الخجل:

- أنت ما اسمك.
- مشعل... أستاذ.
- معنا بالحديث.
- نعم أستاذ.
- طيب: وما هو حلمك؟
- لأستمع إلى أضغاث كلام من هنا وهناك - مشعل يجيد الرسم أستاذ... يريد إن يصبح رساماً -
- جميل... جميل... هلا شاهدتني شيئاً من رسوماتك.
- أمرك أستاذ... الدرس القادم إن شاء الله.

وفي غداة اليوم التالي حالما كنت خارجا من المدرسة وانتهائي من إكمال محاضراتي، تقدمني مشعل وبحوزته كيس نايلون اسود وفي داخله ورقة -من كتله الكيس الخفيفة- وضعها بين كتبه وقال لي:

- تفضل أستاذ... ليلة البارحة قمت برسمها.

فرحت كثيرا لامتثال الطلبة لي، وازدادت فرحتي كونهم ينعمون بمواهب في ظل هذا البؤس الذي يحيطهم، بادرتُ بفتح كيس النايلون قبل وصولي إلى الدار وأنا في غاية السرور بل الرغبة في مشاهدة الرسم، لتستوقفني الجمل المكتوبة: "أستاذي الحالم هذه هي استجابتي لك وحلمي برسم لوحة بعنوان "حلم وطن" ربما لم أكن على قدر من الشجاعة، وأنا في الدرس لأنشر شجاعتي بأناملي المتواضعة" .. أمعنت النظر إلى الرسم، تدرجت بأنظاري إليه وعن ماذا يتحدث، لتنجاب إلى مخيلتي بأنه قد بادر بالحاق بالأمل برسم مدينته الوادعة واستحضار معالمها من البنايات الفقيرة والشوارع المهملة ولكن بصورة ترتقي بالبشر.

غصة كونية

منذ أن طُحِنَتْ مَخِيلَتُهُ بِذَلِكَ اليوم الذي اتسمت
ملامحه بالخديعة، أيقن أنَّه على أمل المشول أمام
قيامه تمتهن الغدر كدليل على ضآلة الشرف، عند
ذلك الطريق المؤدي إلى التَّلّة حيث الدغل
وحشائش المطر، انحدرت بقاياها الغائرة من محرقة
جديرة بالتشظي ليلتحف اللحظة التي أودع أنظاره
الشاردة عند ذريعة الحادثة، بجريه الغريب استطاع
أن يتسرب من الجحيم منظمراً في أحد البيوتات
التي هجرها أهلها ليرتكن عند ركامها الموحش لا
تفارقه الصدمة التي جعلته ضعيف الجدوى لا
يقوى على معرفة الخلاص، غير أن نتف الحياة
التي في داخله دفعته أن يسبر متاهة المكان مقترباً
من الطريق الرئيس لعجلات الحمل التي تقل
البضائع من المواد الغذائية، حيث لا مسلك آخر
يبتغيه، ولا وقت يضيعه بالتنقيب عن فكرة أخرى
فالموت على بعد التفاتة واضحة المعنى من

صراحة ما "من أنت؟" ولماذا أنت هكذا؟"، عند عتبة الطريق تيقن من ارتياد عجالات الحمل، حاول أن يوغل نفسه في مؤخراتهن لكن ما من جدوى، امثل له أحدهم بطريقة غريبة بعد مبادرته برنين التنبيه منوهاً بكلمة اصعد اصعد مع انطواء اليد وكأنه على معرفة به.. تماهى معه بعدها أوجم برهة من الوقت متفحصاً وجهه ليسارعه بالسؤال:

- إلى أين؟ قالها بصوت مبعثر.

- إلى بغداد، وإن سئلت من قبل الأفراد المسلحين اللذين يتصفون الطريق فلا تجب لتبدو فاقداً للنطق دعني أتحدث معهم على أنك من الذين يشتغلون في تنزيل البضائع أنا معرفٌ بالنسبة لديهم.. هل فهمت؟

- نعم نعم، أمرك.

- هل بحوزتك أوراق ثبوتية؟ هوية عسكرية أو أي شيء؟

- نعم.

- هاتها... ولا تبادر بشيء... واسمك هو -فكر قليلاً ثم اردف بقناعة تامة- عبد الباري.

لم أجد ما يستدعي الكلام أو ينول ناصية الحديث، ثمة ذهولٌ على أتمه تتخلله أنظارٌ متوهجةٌ راحت تحفر المدى للوصول إلى محطة الأمان، أنظارٌ تزار بسكونها الملتاع عن ماذا يحدث؟ ولماذا كل هذا الذي يحصل؟ هل نحن في كابوسٍ يستحيل إلى حقيقة؟ أو الكون قد انصاع إلى واقع منغمس بالعبث، كل شيء أندرس وفقد صلاحيته وأصبح عديم الجدوى، كل شيء قد انحسر ما بين إسفلت الشارع وسماء الله التي باتت على مقربة من بعض، أحسست بأن الحياة قاربت على الانتهاء عند هذا الطريق هكذا كنت أدعي المشاهدة أو أتنصل أحياناً من مكاشفة الأشياء حتى لا انجر إلى الحديث معه، أمعنت النظر إلى السائق محاولاً استفهامه عن برائن الهلع التي نخرتني لكنني تذكرت جيداً ما قاله بحدّة وهو يرفع سبابة يده اليمنى محذراً "كن على قيد صمتك لتعيش"، السكون، السكوت، الرهبة التي لم تزايلني أبداً، حركة العجلات الطبيعة التي تمارس يومها وكأن شيئاً لم يحصل، السائق الذي لا أعرف كنهه بالضبط، أصدقائي الذين اصطفوا بطواير الموت،

الطريق الذي أصبح مدلهماً بالريبة وأنا بانتظار
الأجل المحتوم عند أيّ صدمة باتت حبيسة الوقت
هذا ما جعلني اأخذ النظر إليه بطريقة ثابتة لئلا يتزع
كمامة الخرس التي منعتني عن الحديث لكن كرس
محاولتي بالفشل، يا الله هناك موت وهذا موت
مؤجل ليس لدي من الصبر الكافي لأقوى على
التحمل غير أن أبادره ولا آبه بما سيحصل، تفقدته
مرة أخرى لأسأله بسؤالٍ عليه يكون المفتاح
الأول لأسئلة جمّة:

- أين نحن الآن؟ هل مازال الطريق طويلاً إلى
بغداد؟ أرجوك أمهلني قليلاً فانا بحاجة إلى أن
اعرف؟

- استدار إليّ بتويدة متزنة ربما كان على علم
باني سأفاجئه بهذا السؤال، رامقاً إياي بنظرة مطمئنة
بعض الشيء، متلقفا قنينة الماء التي قباليته (خذ
واشرب) ربما اجتزنا مرحلة الخطر ولكن هنالك
سيطرة واحدة وسنجتازها بعون الله (اشرب الماء)
سأوصلك بأمان.

- وأين نحن الآن؟

- في الطريق المؤدي من صلاح الدين إلى سامراء، هل أنت من قاعدة سبايكر؟ قالها ولم يستدر من أمامه لمراعاة الطريق، بل ظل متمسراً نحوي محاولاً بملامحي التي استحوذها التيه قبل النطق.

- وهل تعرفها؟ أطلقت زفيراً طويلاً بيد أن حالتي كانت لا تخلو من الرهبة.

- لماذا لا تشرب الماء؟ هل أنت خائف؟ قلت لك اطمئن.

كانت أجوبته راکزة جداً، إذ سرعان ما يتناوش أسئلتي بالرد، أو ربما انكساري الملفت جعلني اقل احترازاً من أسئلته التي أضحت مثاراً للتأهب، ولكن لماذا سألني عن سبايكر بهذا الوضوح؟ هل انه على معرفة مسبقة بها؟ ما الذي يضره هذا الرجل؟ يا الله هنالك أفراد مسلحون يتوزعون على جادة الطريق متلفعين بيشاميغهم السوداء وبنادقهم المائلة يتشبثون عنوة بالسيارات المكتظة بمدخل الطريق، ما إن يخامرهم الشك بإحداهن ليسارعوا بإشارة ما انفكت عنها رائحة العنف التي أخذت ذروتها بانحدار السيارة عن مسارها المستقيم:

- لا تقلق... كل شيء على ما يرام... قالها وهو
يهم بإنزال زجاجة النافذة التي على جنبته.
- لا بوصلة للطريق/ الحياة لا اتجاه لها ديب
العجلات المتسرلة إلى حتفها تتهادى ببطء لا
مثيل له، توقف، تحرك، توقف... إطلاقات تصرخ،
حناجر تتوسل فضاء ضيق، الوقت قد تقلص معلنا
انفلاته من مهمته، كل شيء قد تبدد:
- من أين؟
- من صلاح الدين، "حي الله رجال الدولة
الإسلامية"
- ومن هذا الذي معك؟
- هذا عبد الباري الحمال... "تفحصوه بنظرة
ثاقبة" ثم قالوا:
- ألم يصادفك شبان الصفوية؟
- جميعهم احرقوا في قاعدتهم المشؤومة
والذين هربوا منها القي القبض عليهم واعدموا
بالحال "نعلت الله أبو الجابهم انه"
- "روح"

وماذا بعد..

ما إن بهتت حالة الخوف/ الموت التي أكلتني أحسست بأنني على مقربة من النجاة، ثمة أسئلة ملتهبة أخذت تنخر في ذهني، أسئلة سوداء كسواد الليل الذي أطال برقده كثيرًا ليجتزئ النهار على فعلتهم النكراء، تمكنا من عبور المجاميع المسلحة الرابضة على أعتاب المدينة، لم أدقق بمن حولي كثيرًا غير أنني تمعنت بملاحي التي راحت تندثر من خلال حديث السائق الذي حمد الله كثيرًا على سلامتي:

- لا تقلق نحن على مشارف سامراء، لقد كُتب لك عمرٌ آخر، اهدأ فقد بان عليك الإرهاق.

انتابني حالة من البكاء المنغمس بفرح خجول، حالة أرغمتني على الغور في مسارب الفوضى الذي راح ضحيته قاعدة عسكرية بأكملها، استدرت إلى الوراء بتوئدة، يا الله هل نجوت حقاً؟، حمدت الله كثيرًا على نعمته راجياً من سائق السيارة أن يسرع للوصول إلى مراب سامراء ليتسنى لي الذهاب إلى بغداد ومن ثم إلى محافظة ميسان،

أجهشت بالبكاء محاولاً التخلص من كم الألم
الذي التحق بي على مدى الأيام الثلاثة هذا ما دفع
السائق أن يهدئي بقليلٍ من الماء وسيكاره هي
الأخرى راحت تبسمل حالة الرعب التي عشته
خلال هذه المدة:

- لا أود أن أسألك كثيراً فأنا متأكد أنت من
قاعدة سبايكر... أليس كذلك؟

- نعم، وقد ساقونا للموت بطريقة لا مثيل لها!!
لا نعرف ما حصل، الجميع متآمرون الجميع خونة.
- وكيف هربت؟

- هروبي بمعجزة يا عمّ، عندما أمرونا بمغادرة
القاعدة من قبل أمر الوحدة كان كل شيء على ما
يرام في حينها هذا ما دفعنا بالترجل إلى الشارع
العام الذي يخترق المدينة هناك حوطنا بمجاميع
مسلحة بعضهم من أبناء العشائر والبعض الآخر
يرتدون بزات عسكرية اخبرونا بسيطرتهم التامة
على مداخل ومخارج المدينة والذين أبدوا لنا كامل
الود بإيصالنا إلى مراب السيارات للذهاب إلى
أهلنا، هذا ما قالوه لنا يا عمّ لكنهم فعلوا فعلتهم
الديئة بأسرنا واقتيادنا منكفئي الجبين إلى أماكن لا

نعرف وجهتها بالضبط أماكن نائية على حد تقبلي
للموقف أما البعض الآخر قد اقتيد إلى حيث لا
علم لنا به، حاول بعض منا الفرار بصورة فوضوية
غير مبالين بما نحن به فرهة الموت لا تعرف
التخطيط لكن أسلحتهم كانت تلتقطنا تباعاً، أمرونا
بالسلاح أن نجلس على الأرض وانهالوا علينا
بالرصاصة ظناً منهم أننا قد متنا جميعاً، عندما خيم
الليل وحلت سكينته المرتبكة أفقت برئة تنفس
بالكاد من جراء الإعصار الذي حل بنا، شاهدت
المجزرة التي أطاحت برفاقي وهم يسحلون
أنفاسهم الأخيرة بأنيين نافذ، كان اثنان من طابور
الموتى قد تحركا بصورة بطيئة جداً أحسست بزهو
كبير في حينها ولكن لشدة إصابتها الخطيرة لم
يمهلها الموت ليكملا تعداد الشهداء، لأتسرب
بين أحياء المدينة وسكانها الذين نفثوا عدوانيتهم
ووحشيتهم المعلنة، ثمة حالة غريبة رأيتهما هناك إذ
كانوا على علم تام بما نحن فيه، نعم على علم تام،
متmadياً شوارع كثيرة لانكب عند احد البيوتات
المهجورة غير إنني لم أبدد زمام القلق الذي في
داخلي خوفاً من دراية أحدهم بوجودي فلا مستقر

لهم أبداً، لأسرع بعدوي إلى الشارع الرئيس فقد
كنت أوفر حظاً لرؤيتك، أنا سعيد بك يا عم...

- ما هو اسمك؟

- محمد.

- لكن مستحيل أنت من أهل المدينة مستحيل،
من أي محافظة يا عم؟

- لا تسال، المهم اشكر الله كثيراً على وصولك
حيا.

عندما أوصلني بأمان إلى المرآب بادر بإعطائي
أوراقى الثبوتية وبعضاً من المال الذي رفضته في
بادئ الأمر، ودعني بجملته الأخيرة قائلاً رحم الله
الشهداء.

كيف أكل الموت كل هؤلاء؟ عند انسلالي من
حالة الجحيم، التحق بي جحيم كان هو الآخر لا
يقل وطأة عن سابقة، جحيم حسي جعلني انكمش
عند زاوية لا تخلو من البوح عن كل شيء، هناك
كان الناس لا يعلمون ماذا حدث في سبايكر إلا ما
روي على شفاه مأسورة، صمت حكومي ابتلع

الخسة بالنصر، دوي أهالي الفقراء على أولادهم، صراع يتخلله التيه، بعد أكثر من أسبوعين أظهرت وسائل الإعلام مقاطع فيديو تظهر فيها إعدامات المسلحين لأفراد القاعدة العسكرية، عند أسرنا قُسمنا بصورة عبثية إلى مجاميع منها أعدمت في الصحراء حيث كنت من بينهم لولا مشيئة الله ومساعدة العم محمد -بعد حين- والأخرى قد أخذت إلى حيث ما كان بالنهر، وأعدمت بطريقة همجية بحته هذا ما تيقنته من مشاهدتي للفيديو، الحالة أصبحت جليلة جداً لا مناص من التمحك، جميعهم ماتوا إلا الذين أعانهم القدر، جميعهم بلا جثث يُستدل بها غير أن اللون الأحمر الذي مزق وجه النهر أصبح خير شاهد، هذيان بات يتقمصني فهذا علي عبد الحسين من الديوانية وذاك حسن عبد اليمه صاحب الابتسامة الجزيلة كيف قتلوا بهذه الطريقة. أسرفت في متابعتي للمنشورات المسربة التي تعنى بسبايكر ليفاجئني تصوير جعلني أتمرغ بالجنون، إعدام ثلة من أبناء مدينة تكريت على يد داعش^(١) بصفة التآمر والتعاون مع أفراد

(١) الاسم المختصر لتنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي.

الجيش وكان من بينهم العمّ محمد السائق الذي
أنقذني والتي بانت من اعترافاته انه قام بإنقاذ أكثر
من عشرة أشخاص من القاعدة هذا ما جعلني
متأكداً من إن عدونا واحد، رائحة الموت عمت
المكان، رائحة متشحة بمناجاة ندية كانت هي
الرمق الأخير مما تبقى، أما أنا فقد بقيت استقي
وجعا من خلال مشاهدتي لصور أصدقائي
المغدورين، استعيد ذاكرتي القصوى لأحاديثهم
الشهية، تذكرت جدتي بعويلها المرّ عندما كانت
تؤبن موتها بصورٍ تتصف ألواح الدار، فكرت
بهذه الطريقة غير إنني احتاج إلى ألواح سماوية لكي
تكفي، استعنت بخارطة العراق لأعلقها في حجرتي
مكتوب عليها "شاهدة وطن" لتفوح بين طيات
الحجرة عبير البخور الذي لا اعرف مصدره من
أين..

النزوح نحو الممكن

قد تنحسر ذاكرتي من الاحتفاظ بتجليات اللعب
الفتية التي احتوتها تلك الدرايين الوجلة في حينها،
فما زلت أنحدر من أهازيج الغبار التي شكلت
الوخزة الأولى لطفل يروم الوصول إلى يقظة كونية
تزفر ما بدا لها من حقيقة وإن كانت مختنقة بعض
الشيء..

لم نتمكن من معرفة الأشياء بمسمياتها أو
المسميات بحقيقتها لتماهينا مع الوهم وانجذابنا
إلى الفراغ لنصبح أسئلة بلهاء ينتصفها التيه أو
يسورها السكوت، أسئلة عرجاء لا تتكئ على معنى
لتمكننا من استيعاب القدر أو توخي الحذر، القلق
وحده الذي نحتكم إليه ليقصص من مصائرنا التي
نخرتها حماقة الماضي وانصياعنا لمستقبل ما
انفكت عنه أثواب الأمس المتهرئة، وجودنا منغمس
بالعدم، أرواحنا المتأبطة وجعاً تغفو فيلكزها الأنين

لتصحو على تقاسيم ألم يطمئن من يستهويه أن
الفقراء قنطرة للوصول إلى هناك، شتات، أغلال،
تهكم، كلمات تقتفينا.. من نحن؟ ومن جعلنا
مواضيع مستهلكة؟ مازلنا نبحث عن ذواتنا في
الطمي أو في بلاهة الصدى ممنين أنفسنا بأصواتنا
المتخمة بالدعاء علّها تكون اقرب إلى الله من
غيرها، أعمارنا حبلى بأيام باهتة مغمضة الرجاء،
الصباحات غائرة باللاجديد ليسحبها الليل ببوصلة
بائسة، الهواء الذي أدمناه قد استعمل في وقت
فئت ليصلنا بلا فائدة، كنا نرتوي بذكر الماء لنحمد
الله على قدر أحقق قد صير لمخلوقات قصمها
العوز... عوز... عوز لطالما طمرتني هذه الكلمة
حالما يكاشفني مرشد الصف عن عدم المباشرة
بإدلاء واجبي المقرر لأبدو ممتعضاً من سؤاله
التقليدي مطرقاً، حاسر الملامح "بسبب عملي
المنهك في تحميل البضائع يا أستاذ" ليمسك
بتلايب الدرس نافثاً زفيراً أمدّه إلى الله مباغتاً إياي
بالقول "أنه العوز العوز ساعدك الله يا ولدي"...
لينحسر المدى في وخزة السؤال، كاشفاً عن محياه
بابتسامة خجلة تترجم كنه ما يضمه جيداً، الجميع

في تلك الأمكنة قد شرّدهم الهم بعيداً لينحتهم
أقبية تشرب من وعي التكوين حكايات ثكلى باتت
تنمو بانتكاستنا، الجميع متخمون بمسافة من
الكلام، إذ لا تزال صفقة صاحب المقهى الرجل
الذي يتحل صفة القصخون لفهرسته معنى البؤس
بطريقة تنزاح إلى عرافٍ يهدهد أوجاع الناس
بصورة مغايرةٍ ريثما نهرع من الباب الخلفية
للمدرسة أملين أن نستحوذ على فسحة يسيرة نلهو
بها لعباً بكرة القدم، لتوقف عند كهولته المفرطة
وأوداجه المتنفخة وهو ينذرنا بصوته الخائر أن لا
نجترئ على مثل هذه الفعلية كانت لصوته محاذير
أرقبها بهلع مستفز، ثمة تخطيط ما بين بساطة أحلامنا
المدخرة وبين تأهب أهلنا اللامعقول لتركنا اللعبة
وتأنيب عامل المقهى مندثرين بحروب رعناء
حصدت من طموحاتنا واقتصت من ذاكرتنا
المهشمة، أتذكر عندما ساقونا للخدمة العسكرية
أخذت أُمي المرأة البسيطة ذات القوام النحيف
بتحضير ملابسٍ لتفرّغ ما بحوزتها من النحيب
مدركة معنى الجحيم الذي ينتظرنا هناك أو ربما
عدتني بتعداد المفقودين وهي تشاهد كم الشهداء

الذين طحتهم سرفات الأفكار البائسة، الدموع
التي انهالت من والدتي جعلتني أنقب عن مسلك
آخر للنجاة من تلك المحرقة لكن ما من جدوى،
في الساتر الأمامي خيل لي أن أقفز من أحد
الخنادق لأعتلي رابية ما، وأقرأ شيئاً من الشعر
إمعاناً لصديقي حسان الذي كاشفني ذات يوم مترع
بالموت وعندما كنا نتحدث عن سبل الخلاص "لغة
الحرب لا يمكن أن تقصى إلا بلغة الجمال" لولا
أن قذيفة أسدلت الستار عن فكرتي منوّهة بأن
أحتفظ بها لنفسي لكي أحتفظ بحياتي أولاً، لم
تغفل ذاكرتي عن حسان الذي قرر أن يصفع بآرائه
الظلمة ثمناً لجريمة السلام!! عندما وُشي لآمر
الوحدة بوجود أوراقٍ مخبأة ما بين حاجياته كتب
عليها موضوعاتٍ مناوئة للحرب لينج إلى محكمة
عسكرية أعدم من خلالها، ما ادخرته ذاكرتي عن
حسان ذلك الولد القمحي ذات الابتسامة الهادئة أنه
ل طالما يشعره الليل بالضجر لكنه كثيراً ما يسهم
النظر إلى السماء محدقاً بأنظاره الراكزة ليردني
بتمهل محسوب ما انفكت عنه علامات التأمل:
- أعلم يا سالم أن الرب لا ييشر بضجره علنا.

- وكيف لمحت ذلك؟ قلتها وأنا أبصره منغمساً
بالسماء بعينين كاشفتين لا ينقصها التجلي.
- انظر إلى هذه اللآلئ التي ليست ذات سعة من
الضياء، إنها رسالة واضحة مفادها أن الرب يمتعض
من الظلام مستعيناً بملامح النور اليسيرة إمعاناً
لغفوة كونية تفضي عن عدم الإدلاء بيقظتها
الخجلة.

- وهل هذه فلسفتك بالحياة؟
- بالطبع لا... بل إنها حقيقة أزلية سابحة في
هذه الفجاج الفسيحة توجز سر الوجد السرمدى
الذي تربينا عليه وإن اغتمت السماء بالسواد فاعلم
أن هنالك خطأ ما سيحصل.

لم أكن أعرف كنه ما يقصده بالضبط، لكنه
وعلى حد علمي كثيراً ما يبدي أراء يصفها البعض
بأنها تودي إلى الهاوية، أتذكر عندما حدثني عن
الموت بطريقة فتازية تستدعي الجنون بعض
الشيء تسمرت قليلاً متيقناً أن ما يحدثني عنه شيئاً
لا ندركه بالحين، لكنني وبعد حين من الحرب
استوعبت كلامه بالنص مستحضراً كم الذين
سحقوا، كان يفصح لي عن حاجته للهروب من

هذه المحرقة غير المبررة بقولة "أن الحرب قفشة
بائسة تدعوك إلى البكاء أو أن تجبرك على الضحك
المبكي"، كنت أستشرف ما بحوزته من أنين يدخر
أوجاع مجايله الذين مارسهم الحروب كوقود
دائم لإشعال فتيلها الأبدي، فلا لغة تبرز نفسها أو
تستدرك حالة الضياع التي انغرسنا بها فالموت لا
طائل منه لكنّه وعلى الرغم من كل هذا الزعيق
كانت ارتساماته/ مواضيعه/ أوراقه السمراء التي
خط عليها تجاعيد أيامه المكدره/ تغانيه بالاتي
المكلل بالجمال، يغلبنى الظن أن ما يدونه حسان
بعد كل غارة جوية يهوي على أثرها عدد ليس
بالقليل فيما إذا تحولت ساحة المعركة إلى قيامة
تسرف من تناثر الأشلاء لتتخم جنان الله بأرواح
يفتقدها الجسد "أواه.. على الرب مهمة عسيرة
لترميم بقايانا" عندما سألته عما يكتبه بشغف مهول
أجابني وبنفس طريقته المعهودة أن الحرب لا ظل
لها إلا الموت علينا أن نطمرها أو نؤبئها بنهم
شديد، أجزم باليقين أن ما احتوته تلك الأوراق من
كلمات صارخة كانت لها الأثر الكبير بتسربله إلى
طريق اللاعودة عندما تقصده إحدى العيون الليلة

التي أودت به إلى الفقد، ما زلت إلى هذه اللحظة
أتحفظ بالحديث عن تلك الليلة التي اعتقلوه بها
حيث السماء المشبعة بالسواد والتي أغلقت أكرات
نوافذها عن النور فقد احتفظت على أثرها بورقة
سقطت من أحدهم أثناء الاعتقال مكتوب عليها
"صناعة الحياة هاجسنا الذي نسعى إليه ما دمننا
نستقي من أوجاعنا طرقاً نعبر من خلالها إلى ضفة
الطمأنينة ثمة رائحة من الخوف تعم المكان وأدوها
بمصاحبتكم للسلام، البلد الذي يستكثر على أبنائه
أن يمارسوا ذريعة التنفس بحرية مثلى علينا أن
نظهره من مروجي القبح وسراق الصباح فهذه
مهمتنا أيها الأحبة، أصدقائي القديسون لا تحتفظوا
بهوائكم لأنفسكم انشروه ما استطعتم علّه يمثلكم
في تصحيح الآخر..." هذه الجمل التي غيب على
إثرها حسان، لا اعرف لمن كتبها تحديداً أو ما هو
مبتغاها ربما لنا/ لهم/ لا علم لي لكنها كانت جملاً
بيضاء جداً يستشعر من كاشفها دستوراً آخر
للجمال بيد أن الظلام الذي بات سخياً جداً لا
نبصر من خلاله أرواحنا المتقاذفة صوب الفناء على
الرغم من أننا لما نزل نطيل النظر عالياً على أمل

البصيص، أما أنا فقدّر لي إن ركّني القدر بعيداً
جداً عابراً جزراً من التخويف لأمارس التحرر
بحواسي الخمس على الرغم من أنني انسلت من
الباب الخلفي للوطن مودعاً صيحات عامل المقهى
التي لم يبق منها سوى الرمق...

إعلان سر!

اتكأ بهامته على راحة يده اليسرى التي هيمنت على جزء ليس باليسير من حنكه متأوهاً بالرهبة التي لم تفارقه أبداً بحثاً عن خيط يوصله إلى غاية باتت مرتمية في أصقاع نائية من مكان الحقيقة، مصحوباً بأنظاره الساهمة صوبه، ماداً بزفيره المتآزر، منها له بالحديث:

الله يكون في عونك، الله يكون في عونك يا سيد خالد، نحن مضطرون أن نسألك مجموعة من الأسئلة لتدوينها في المحضر ولكم نعرف ما هي مأساتكم...

- غير وجهته إليه وقال بصوت خفيض: قل ما شئت.

- كيف كانت علاقتهما الزوجية؟

- على أحسن وجه يا سيدي، لم أتذكر أن تخاصمنا أو حصلت بيننا مشكلة سوى ذلك الخلاف المحفوف بالدلع الذي يحصل ما بين أي

زوجين بُنيت علاقتهما على الحب والصدق بل والأكثر من ذلك كنا نُحسد على هذه العلاقة التي لم يصبها خدش.

كان متجاوباً معه بالحديث، وسرعان ما استقام من مكانه مستديراً ليجلس قدام السيد خالد واضعاً بيده علبة السكاثر الموضوعة على سطح المكتب.

- تفضل.

- شكراً... واخذ الاثنان بالتدخين.

- كيف كانت علاقتها بالسيدة الوالدة يا سيد

خالد؟

- يا سيدي المحقق، ربما نحن من فضليات العوائل، هنالك احترام متبادل ما بين أفراد العائلة موصولٌ بروح الوئام والتفاهم هنالك طمأنينة منغرسه في ذاتية الدار، والدتي امرأة مستّة ورعة تقيّة، كانت تردد على مسامعنا جملة لها المعتادة "ليلي بمثابة ابتي" فضلاً عن ذلك نحن لسنا بالعائلة الكبيرة التي تثار بها المشاكل.

- المحقق: ليس دائماً المشاكل تثار من كثرة

عدد الأفراد في المنزل يا سيد خالد.

- ولكن على الأغلب يا سيدي.

- بالطبع بالطبع... واخذ يضرب بقلمه على المنضدة الموضوعة أمامه.

- هل لوحظ عليها شيءٌ مدعاة للشك على الأقل خلال هذه الفترة؟

- انغمر بالتفكير برهة من الوقت ناكساً هامته مداعباً بإحدى يديه فروة شعره المتناثرة، محركاً رأسه يميناً وشمالاً قبل بلوغ رده الشارد بجملته: لا أعرف لا أعرف.

- المحقق: أذن من يعرف يا سيد خالد؟ أنت الزوج يا سيدي، ألم تكن معها؟

- يا حضرة المحقق بحكم عملي المتنقل كمهندس نفط يتم إرسالني ما بين الحين والآخر من قبل دائرتي المعنية إلى مدنٍ مختلفة تقطع بمئات من الكيلومترات بحثاً عن الآبار النفطية وقد يطول مكوثي طويلاً ربما يتجاوز الشهر، وبالكاد أحصل على إجازة لا تتجاوز اليوم أو اليومين وهذا الشيء متفق عليه قبل الزواج ولم يحدث أي خلاف بشأنه.

- طيب، هل كانت كثيرة الخروج، أوقات خروجها مناسبة، تصرفاتها، مع من كانت تلتقي؟

- سكت ولم يعره جواباً، لا أستطيع الجواب يا سيدي وانغمر بالبكاء كيف تفعلي هذا يا ليلي؟ كيف تفعلي هذا؟

اهدأ، اهدأ يا سيد خالد.. أنا آسف يا سيدي ورَبَّتْ على ظهره... أسبغ الله عليك الصبر والسلوان، لا إله إلا الله... تفضل يا سيد خالد (الله يكون بعونك) مترجلاً معه إلى باب المكتب.
انتفض المحقق منفِعلاً وهو ينادي الشرطي:

- نعم يا سيدي.

- آتِ بالحاجة فاطمة.

- أمرك سيدي.

دخلت الحاجة فاطمة بقوامها المترهل وخطواتها المترثرة شاحبة الوجه ملومة الطرف بانث عليها آثار التعب والإرهاق بوضوح شديد ثم ما لبثت أن جلست على كرسي التحقيق قائلة:

- كل شيء بعلمه.

- المحقق: كيف حالك يا حاجة؟

- وكيف الحال يا ولدي وأنت لك العلم بالذي

جرى؟ أستمحك عذراً أن تأتيني بقليل من الماء.

- ضغط زر التنبيه للشرطي الرابض في الباب وأمره أن يحضر الماء للحاجة فاطمة... ارتشفت قليلا من الماء -الحمد لله على كل شيء- تفضل يا ولدي:

- يا حاجة، كيف كان سلوكك ليلي في البيت؟
- ليلي امرأة مهذبة ومثقفة لم تتجراً أن خدشت مشاعر إنسان بكلامٍ قط ولو عن طريق المزاح كانت بغياب خالد مواظبة على متابعة الأطفال وإكمال حاجياتهم فضلا عن أنها كانت تعاملني بعناية كبيرة، بنت ودودة إلى أبعد الحدود زد على هذا كان خالد يحبها كثيراً ولم يحدث أن تخاصما أو حدثت مشكلة في علاقتهما الزوجية بل كانت علاقة وطيدة أنجبت له ولداً وبتاً، ولكن هذا الذي حصل، انه القدر يا ولدي.

- طيب، الم تلاحظي عليها أموراً غريبة على الأقل خلال هذه الفترة؟

- أمور غريبة مثل ماذا؟

- أي شيء مثير للانتباه.

- على العكس كانت مسرورة وبهية حالما تسمع نبأ رجوع خالد من إفاداته المتكررة تكون

فرحة جدا، ولم يكن أي شيء فيها محل اضطراب
أوربية.

- كيف كانت علاقاتها مع الجيران؟ مع من
تلتقي؟ هل تسرف بالخروج من المنزل؟
- علاقاتها بسيطة لم تشبها شائبة بيد أن همها
الوحيد هو المنزل وتربية أطفالها أما مع من كانت
تلتقي فلا استطيع البت بطرفٍ محدد، مع أخواتها
مع الوافدين من الجيران مع زميلاتهما من أيام
الدراسة ولكنها كانت نادرا ما تلتقي بهم لانشغالها
الدائم بأمر المنزل ناهيك عن إنها بطبيعتها لم
تكن مسرفة بالخروج ولم تحبذ الخروج لوحدها،
امرأة طبيعية منقطعة الشك.

(1)

الليل في أخرياته لم يبق للفجر سوى دقائق قليلة
تتهادى منذرةً بصباح آخر ينثر بكارته اليومية على
جائل الكون متذرعاً بمجهولٍ أحرق لوقت ما زال
محتفظاً بكيونته التي اختصته مليا، التحف بقوامه
عاقداً بكلتا يديه محتضناً عودها المنسدل مستنشقا
بنفسٍ غائر اللذة المدثرة التي تضيّعت منها، بدأت

عليها ارتسامات اليقظة المصحوبة بابتسامة خجلة
ناثرةً يديها المكسوتين بالياض الناصع باتجاه
معاكس لإزالة ما عليها من غشاوة النعاس وهي
التي تبادر بصوتها الجلي المتباطئ:

- صباح الخير حبيبي.

- صباح الخير حبييتي.

- هل ستسافر الآن؟

- نعم يا حبييتي.

الفَت عيناؤه عينيها الذاويتين ثم تمادى بخطوتين
ونصف الخطوة إلى ابنه المدللين متوثبا إليهما
بقبلتين على أمل اللقاء بهما قريباً، ومن يعرف ربما
هي القبلّة الأخيرة له؟ أنه المجهول!.. المجهول!...
وأطرق هاماً من حجرته إلى باحة المطبخ ومعه
زوجته التي آثرت بنصائحها أن لا تترك شاردةً إلا
وذكرتها:

- دونما شك يا حبييتي لقد حفظت ما بدا لك...

مباغتا إياها بقبلّة جعلته أن ينهي الحديث على
أتمه:

- طيب أجلس لكي أحضر لك الفطور.

جلس واجماً برهة من الوقت ثم قال بصوت
مترقب، ليلي...

- نعم يا حبيبي.

- أين والدتي؟ ألم تستيقظ؟ مغيراً وجهته إلى
باحة الدخول، حسبتها في غرفة الضيوف لأداء
الصلاة.

- بلى: ستستيقظ عما بعد يا عزيزي.

- غريب! ليتها تكون على ما يرام... لم يفت من
الوقت إلا هنيئاً فأقبلت الحاجة فاطمة بخطواتها
الراكزة مشرعةً بهدوئها الذي طالما يضيفي إيماناً
عبقاً في البيت

- صباح الخير يا أولاد.

- صباح الخير يا أمي، كيف حالك؟

- بخير يا حبيبي لا تقلق أنا على ما يرام.

- الحمد لله.

- هل ستسافر الآن؟

- بعد قليل يا أمي.

- عليك الاهتمام بصحتك جيداً يا حبيبي.

- حسنا حسنا يا أمي لقد أخذت نصائح السفر

من ليلي. فسرعان ما تنهدوا بالضحك.

انغمرت ليلى في إعداد وجبة الفطور، فيما دأب المهندس خالد الذي حصل على عقدٍ من إحدى شركات النفط في مدينة (س) لمدة سنة واحدة للبحث والتنقيب عن الآبار النفطية أن يواصل الحديث مع والدتهِ علّه ينال ما بوسعه من الحنان.

- الم ينته الفطور يا حبيبتى؟ لم يبق من موعد القطار سوى ساعة واحدة.

- حسنا يا حبيبي انه الفطور الأخير يجب أن يكون فطوراً مثالياً.

اجتمعت عائلة السيد خالد على مائدة الفطور بمودة وحميمية حيث الألفة التي توشحت بها زوايا وأركان البيت، مسبغاً الله عليهم بولدٍ وبنت لم تتجاوز أعمارهم الخامسة ربيعاً موقنين بأن يعلموهم أحسن تعليم وان ينشئوا نشأهً صحيحة ولا ينقصهم شيء، أستقام خالد من مقعده بعدما أكمل فطوره مع عائلتهِ إيداناً منه للذهاب إلى المحطة التي تبعد عن المنزل قرابة النصف كيلو، تراءت إلى السيدة فاطمة ملامح زوجها مرتسمةً بولدها خالد عندما امثل إليها لكي يودعها منحنياً بتقبيل يديها:

- عافاك الله يا ولدي وحفظك من كل مكروه،
كأني أرى والدك رحمه الله بحنّته وصفاء سريره
ومن شابه أباه فما ظلم يا ولدي.
- رعاك الله يا أمي... لا تنسيني بالدعاء يا
حاجة.

ثم أدار بوجهه إلى زوجته هاماً بتقبلها وتوصيتها
بالحاجة موصولاً بموعد الدواء لها فضلاً عن
اهتمامها بنفسها وبالأولاد مترجلاً إلى باحة
الخروج.

- لا تنس أن تقرأ المعوذتين.

- حسناً يا حاجة.

انطلق السيد خالد مسرعاً للوصول إلى المحطة
التي لا يمر بها القطار سوى مرتين باليوم -أول
اليوم وآخره- منعاً من عقوبة التأخير التي ينال بها
استقطاع الراتب فضلاً عن التوبيخ من مشرف
العمل، الحمد لله... الحمد لله لم يصل القطار بعد،
هكذا تمتم السيد خالد وجلس منتظراً على إحدى
المصطبات المتهالكة وسرعان ما نهض مستعداً
لمجيء القطار حتى يأخذ راكبيه إلى حيث اعترمت
نيتهم، المسافة ما بين مدينة (س) ومدينة (ص) إن

قيست بالساعات حوالي ١٠-١٢ ساعة إن لم يحصل عارض لا سامح الله.

(2)

أتمنى أن يصل ولدي بالسلامة، هذا ما دار في خلد الحاجة فاطمة وهي جالسة في باحة المنزل متفياًة ظلال الأشجار واجمة الحديقة التي اعتادت على متابعتها من بعد المرحوم زوجها ومن حولها نشوة أحفادها الصغار وهم يجولون بفسحة من الحرية التي تضيء بهجة ورخاء في المنزل.

- ليلي: ماما.

- نعم يا حبيبي.

- موعد الدواء يا حاجة.

- احضره إلى هنا ولا تنسي كوب الشاي يا

ابنتي.

- أمرك.

أقبلت ليلي إلى الحاجة فاطمة وفي يدها علبة الدواء وكوبا من الشاي.

- عافاك الله يا حاجة.

- شكرا يا حبيبي.

- ألم تقولي انك ستخرجين للذهاب إلى السوق؟

- نعم يا حاجة، هل ينقصك شيء؟ هل أبقى معك؟

- لا یا حبیبی .

- افعلي ما يحلو لك يا حبيتي ولكن لا تتأخري
وان شئت فاصطحبي الأطفال إلى السوق.

- نعم بالتأكيد... فعلا م يقون لتصديق رأسك؟

- بالعكس إنهم يجعلونني استعيد عافيتي من
 حديد يا ابنتي.

هاااااااااااا سندهب مع ماما إلى السوق هكذا
بدأ احتفال الأولاد الصغار وهم مرتمون على جسدِ
جدتهم التي احتضنتهم ملياً وهي ترى ملامح ولدها
مودعةً في تقاسيم حفيديها الصغيرين ثم ما لبثت
أن مدت يدها في خرجها لتنقيط أحفادها بما فيها
ليلي التي انحت لتقبلها

- جعلك الله ذخرا لنا... لا تقلقي يا ماما لن
أتأخر ربما إن بقي لدي من الوقت سأصطحب
الأطفال إلى الحديقة المطلّة على النهر فقد ملّوا
من اللعب بالمنزل كوني مطمئنة.

- كوني حذرة وبالذات من رأفت فهو كثير الحراك.

- كن ملازماً لماما يا حبيبي.

حالما يكون السكون، تنهذى سجدى الظلام التي تكتسح بلجتها السبع الطباق ثمة ما يطيح بالكون من مرارة المجهول ليقتفي اثر الحكاية التي تؤلب مشقة البال وتكبح اقتفاء الحال. براد الشاي قد انقضى مصحوباً بانقضاء بقايا النهار الخجلة، الظلام أسدل ستاره يستحيل إلى سأم الانتظار لدى الحاجة فاطمة إذ لم يحدث وان تأخرت ليلى عن المنزل بمثل هذه الساعة، أخذ الاضطراب ذروته والقلق حضوره في ذهن الحاجة فاطمة حتى إذا ما انكبت على وجهها آثار التعب التي اعتلت ما بحوزتها من تبريرات، تمادت ليلى إلى فسحة المنزل بدون الأولاد.

- مساء الخير يا ماما.

- أين الأولاد يا ليلى - وهي ملتاعة من عدم مجيء الأطفال معها.

- هناك.

- أين هناك؟ قولي بالحال.

- لقد غرقوا بالنهر!!!!

- ماذا؟؟ أين الأولاد يا ابنتي.

- إنهم بالنهر كما أقول لك إنهم بالنهر.

قطبت الحاجة منذهلة من شدة الجواب...

سكون سكون سكون

ما بين صفاء كلامها وارتياحها واستفهامات
الحاجة فاطمة التي لم تجد أجوبةً تلجم أفواه
أسئلتها المتكررة، ما بين ملابسها الندية التي تدل
على أنها قد انغرست لنصفها في المياه وهدوئها
الرحب بطرح الحالة ورهبة الحاجة فاطمة في
الحيلولة من استيعاب الخبر منجأةً من عيني ليلى
مراسيم الحبور وتجليات الفرح والسرور التي
جعلت الحاجة فاطمة تتوسل عن صحة النبأ وهي
مكتظة من أعلى هامتها إلى أخمص قدميها:

- نعم يا ماما قد تركتهم في وسط النهر وقد

ماتوا وهي في طريقها إلى غرفة النوم

برائث الهلع قد أذكت سطوتها وربضت في
داخلها -يا الله- ما هذا؟ يا لله.. يا لله.. تسمرت
معلنةً استسلامها لرياح القدر حيث الدهشة التي
لازمتها مهووسة في داخلها عن استيعاب الخبر

ليس ثمة غير الضبابية التي اكتنفتها، وهي مشدودة
النظر بالمكان، ووجهها يتفصد عرقاً وبالكاد تنفث
ما استنشقتة من بقايا الهواء مناديةً بصوتٍ متهدج لا
يخرج من وطء هذا العبء ليصل إلى مسامع ليلي:
- ليلي أين أنت يا حبيبتى وهي تطرق بشدة؟ -
ربما لم تستوعب الخبر جيداً- ردي عليّ.

توقفت برهة من الوقت حتى إذا ما تراءت إلى
مخيلتها ابتسامتها العريضة اغتمت بحيرتها -العون
يا الله العون يا الله- هل هذا معقول؟ ماذا حصل؟ لا
من سابع المستحيلات هذه نكتة افتحى الباب يا
بنت، أين الأولاد؟ خرجت ليلي من غرفتها وكأن
شيئاً لم يحدث

- إلى أين يا ليلي؟

- سأذهب... هذه الكلمة التي انفرج لسانها
بها... ولكن إلى أين؟ سؤال انتصب قوامه من
ضمن ثلّة من الأسئلة المبعثرة وراح يحثّ الخطى
إليها معلنةً صمتها المشلول، توقفي يا بنت توقفي،
استرقت عيني ليلي نظرة خاطفة إلى الحاجة فاطمة
ثم أدبرت عازمة الخروج.

ظلت الحيرة ملازمة للحاجة فاطمة وهي تتلوى
من الحزن والقلق، إذ اتصلت بولدها خالد ولكن ما
من جدوى من الحصول عليه أعادت الكرة لمرات
عديدة هذا ما زاد من شدة الحنق الذي غبَّ
بصيرتها بوابل من التعقيد فضلاً عن اضطرابها
لإستفهاماتٍ مختلجةٍ لا تعرف الهوينى من أمرها
منزوعةً من مخيلتها لترتمي عبثاً في الفراغ ومن
اللحظة عينها بدأت عليها بوارد التشتت التي
جعلتها لا تستطيع التفكير بحكمة. البيت أصبح
كالقفر لا يأوي سوى الصمت والرغبة اللتين أثبتتا
حضورهما في المكان، أخذت الحاجة فاطمة
مكانها في غرفتها ملتزمةً إحدى زواياها بقلب
محسورٍ وبألٍ متشظٍ.

(3)

الوقت يتهاذى ببطء مصحوباً بضوء أحول
لصباح قلق لم يأخذ بلوغه التام من الضياء ليتزع
الستار الأسود الذي احتوى سماوات الرب، لعله
يوماً جديداً بذاتيته لكنه محتفظٌ بنازلة القدر التي
التحقت بعائلة المهندس خالد، رتاج الباب يدفع

بقوة الصدمة التي تمرغت بها أركان البيت مشرعةً بدخول خالد وهو نافذ القوى تتقاذفه المفاوز من كل حدبٍ وصوب متوجهاً بسرعةٍ قلقةٍ إلى غرفة الأولاد وخلفه ليلي التي تسير بتوئده ملفة للنظر، اخذ بالتفتيش عنهم لكن ما من جدوى حف بتجواله ما بين الغرف صعوداً إلى الطابق الثاني وهو يصيح أين أولادي يا ليلي؟ انتفخت أوداجه التي كادت أن تغطي على محياه.

- أين الأولاد يا ليلي؟ محركاً رأسه بصورةٍ مريبة.

- قلت لك لقد تركتهم بالنهر.

ولدي خالد أين أولادك؟ صرخت والدته وهي مرتمية على جسده منهمرة الدموع خائرة، هل تصدق ما حدث؟.. حاول خالد بشق الأنفس أن يهدأ من روعها لكن ما من جدوى أطال النظر إلى ليلي علّه ينال ما بوسعه من إماطة اللثام عن فعلة زوجته هذا ما جعله ينقض منهالاً عليها بالضرب المبرح متوثباً حولها بغضبه المضطرم وهو يصيح.

- أين الأولاد؟... أين الأولاد؟

لا حل لنا إلا الاتصال بالشرطة. ليتهما تبوح بما
تضمر أو تحجم عما بدا من أمرها...

لنعد إلى المحقق:

- كيف حالك أخت ليلي؟

- على ما يرام.

- وكيف حال أولادك؟

- إنهم بالنهر.

- غريب!

- وما هي الغرابة يا سيد.

- ولماذا بالنهر؟

- هم ألان بالنهر.

- أختي العزيزة: عائلتك يتهمونك بفقدان

أولادك بالنهر، ما هو ردك؟

- هو ليس اتهام يا حضرة المحقق بل هي

حقيقة.

- طيب، ولماذا ألقيت بهم بالنهر؟...

- هم ألان بالنهر، كما أقول لك هم ألان بالنهر.

طيب طيب... تم تدوين إفادة ليلي والذهاب إلى

موقع الحدث لكشف الدلالة هذا ما نطق به

المحقق إزاء هذه الصراحة المرة التي جعلته لا

يتماهل في أمره وان كانت مفعمة بالدهشة، اتجه رجال الشرطة إلى موقع الحدث وبنفس الصراحة التي تسّدت المشهد تم إخراج الجثتين من قاع النهر إذ لم يفت على إغراقهما زهاء يوم ونصف اليوم هذا ما سهل على كاهل الغواصين أن يخرجوهما بجولةٍ واحدة، الشيء الغريب الذي أنذهل منه الجميع وباتوا موقنين من أن هنالك شيءٌ باللاوعي يتقمص ليلي مسيطراً على تصرفاتها جاعلاً منها وجهين لهيأةٍ واحدة عند مشاهدتها للنهر وحال إخراج الجثتين منه بانت عليها أثار الاضطراب والقلق المصحوب بعويل مرّ يستحيل إلى مناداة متضرعة جابت بها فضاء الحدث ربما هو السبب الأوفر حظاً في اكتناه الحقيقة هذا ما جعل المحقق أن يأمر بعرض الحالة على طبيبٍ نفسي فضلاً عن الإتيان بعائلتها على وجه السرعة.

- سيد خالد قل لي بصراحة، هل كانت ليلي تعاني من مرضٍ نفسي أو حالة ألزمتها الفراش لوقت ما؟

- كلا يا سيدي اقسم لك بجميع الكتب
السماوية أنها لا تعاني من أي مرض نفسي أو
عضوي على مدار علاقتنا الزوجية...
- طيب هذا ما سوف يكشفه الطبيب ولو بعد
حين.

استبق خالد حالة ليلي عند مشاهدته لهذا
المشهد الغريب بأن هنالك عارضٌ فجائي أصيبت
به زوجته ولكن كيف ومتى؟، وإلا ما هو التفسير
لهذا الحدث؟ جريمة بهذا الحجم ارتكبتها أم مثالية
لأولادها الصغار بلا شيءٍ سابقٍ لأوانه بالإضافة
إلى ما أكدته الحاجة فاطمة وهي تصغي لما يقوله
خالد متوثبةً إليه بالمقاطعة.

- نعم تذكرت.

- تذكرت ماذا يا حاجة؟ قل لي بسرعة.

- ارتعبت ليلي عند مشاهدتها منظرًا تمثيليًا
لامرأة تغرق وتستغيث عوناً بمن حولها وظلت
تبكي طوال الليل وهذا آخر مشهد جمعتني وإياها
ولكن لم اجعله هدفًا يربى إليه.

- هل قلت هذا الشيء للمحقق؟

- كلا.

- لماذا؟ وهو يهَمّ بالقيام.

اتصل خالد بالمحقق على وجه السرعة واخبره بما حصل، هذا ما جعل من الحالة اقل حدة للحصول على بصيص من الضوء يقحم الظلمة التي غطت هذه الجريمة.

وفي غداة اليوم التالي تم وصول عائلة ليلي إلى المنزل فقد اندهلوا من هول الحادثة موقنين بان هنالك خطأ ما قد حصل فضلاً عن إيمانهم التام بابتهم.

- اسمك وسنك وعنوانك.

- سعيد عبدالله محمد، ٦٦ سنة.... مدينة....

- ما هي صلة القرابة بينك وبينها.

- أنها ابنتي يا سيادة المحقق.

- طيب، كيف كانت حالة ابنتك يا سيد سعيد؟

هل كانت تشكو من أي مرض نفسي قبل زواجها من السيد خالد؟

- كلا يا سيدي المحقق، وأنا موقن بأن هنالك خطأ ما قد حصل.

- خطأ مثل ماذا يا سيد سعيد؟

- لا اعرف وبتكرارٍ مرٍ ينتهي إلى غضب شديد.

- طيب طيب... اهدأ يا سيد سعيد اهدأ.

- هذه اعترافات ابتك، ماذا تقول بها؟ ماذا تقول حال انهيارها بصورة غريبة، وغريبة جداً عند مشاهدتها للجثتين، ماذا تقول لهذه الصراحة التي تشير إلى أن هنالك مرضٌ نفسيّ المّ بها، ربما أنا لا أحملك المسؤولية يا سيدي ولكن رداً على تعقيبك في إسقاط التهمة.

في هذا الإثناء وصل تقرير الطبيب الذي فتح الأبواب أمام مجموعة من الأسئلة الموصدة التي بلغت ذروتها الدهشة مشيراً إلى أن هنالك نوع من الهستريا الفريدة أصيبت بها ليلى منذ الطفولة جعلتها تتصرف في أمور خارجة عن إرادتها لا تستطيع أن تكبح جماح مشاعرها من إبداء رغبة أو غاية اختلجتها ومما لا شك فيه أن الفرد في هذه الحالة تتنابه بعض الاضطرابات المؤدية إلى الهلاك إذ يكون غير مسؤول عن أي فعل إزاء هذه الحالة التي ربضت في مخيلته فضلاً عن ذلك فقد لا يلفت نظر الآخر بأيّ شيء يجعله مدعاة للشك أو مثاراً للريبة بل على العكس تضيف عليه صفة السرور والرخاء وهذه حالة نادرة وغريبة من

الهستريا بالإضافة إلى أنها تُستفز أو تثار عند مشاهدتها لحادثة مشابهة أو مقارنة لما تعرضت له.

- تفضل يا سيد سعيد اقرأه بنفسك تفضل...

مسك السيد سعيد التقرير بيده واخذ يتمعن به ويقرأ بتريث إذ ما لبث أن وضعه على الجانب المؤاتي من المكتب رامياً بأنظاره التي سرعان ما تبدد وهجها إلى الأرض داعكاً عينيه من وراء نظارته الطبية بأنامله التي راحت ترتجف من شدة الفزع واخذ يتمم بكلمات غاية بالخطورة:

- نعم هذا صحيح... هذا صحيح... لأنها الناجية الوحيدة يا سيدي.

- ماذا؟ ناجية من ماذا؟

- تمهل يا سيدي المحقق استحلفك الله... الكلام الذي نص عليه التقرير كلام ليس وليد اليوم بل فات عليه أكثر من ٢٥ سنة.

تبرم المحقق جراء هذا الاعتراف الغريب وأيقن بنبرة كلامه المتباطئة ونظراته الزائغة التي ما برحت أن تجد مستقراً تنكفى نحوه بأن هنالك سرٌّ خطير راح يندلق من بين شفثيه المتهرئة:

لن أنسى ذلك اليوم المشؤوم الذي جعلني بحالة
من الغثيان زهاء سنين طوالاً لا انعم بالحياة ولو
لفترة وجيزة حيث لا فائدة من كتمان السر إن كان
الأمر يتعلق بابنتي.

- سر!!!! وأي سر هذا؟

ليلى ابنتي المسكينة -يقولها بآلم ممض-
تعرضت إلى حادثة لا يستطع على تحملها من بلغ
الحلم واستبقه إذ كان عمرها في حينها لم يتجاوز
الرابعة، في ذلك اليوم الذي أتذكره جيداً نعم يا
سيدي أتذكره وظل معي طوال هذه الفترة فقد
كانت والدتها قد استأذنتني للذهاب إلى سفرة
للترويح من متاعب العمل في مدينه (ع) المطله
على نهر (.....) مع رفيقاتها في الدائرة التي تعمل
بها فعزمتُ أن اذهب معهما في بادئ الأمر ولكن
لالتزاماتي المملة في هيئة المشاريع الهندسية التي
كنت في حينها معاوناً للشؤون الإدارية، أثرت أن
اعدل عن قراري واقبع ممثلاً لمهامي وواجباتي
فأصرت زوجتي الذهاب وقامت باصطحاب
الأطفال معها فما أن تبدد النهار وبلغ الظلام ذروته
حتى تلقيت الفاجعة.

- وما هي الفاجعة يا سيد سعيد وهو فاغز فمه!
- موت الجميع غرقاً على يد سراق كانوا قد
اصطحبهم للاستجمام بالنهر فما أن ابتعد القارب
إلى مكانٍ ناءٍ حصل ما حصل وكانت الناجية
الوحيدة من هذه الحادثة ليلى التي أصيبت على
أثرها بهستريا غريبة من نوعها وظلت لسنين طويلة
على هذا الحال إلى أن تماثلت بالشفاء حسب قول
الأطباء الذي أغدقوا عليها بالعناية والاهتمام أما ما
سمعته ألان جعلني في حيرةٍ من أمري.

- عموماً هل هنالك تقارير طبية تثبت صحة ما
قلته.

- بالتأكيد بالتأكيد بل هنالك صحف رسمية
تناولت الموضوع وما زلت احتفظ بهذه الصحف.
- طيب من هذه السيدة التي نروم التحقيق معها،
أليست والدتها؟ وقطب منذهلاً محاولاً منه أن يجتر
جوابه بسرعة شديدة..

- إنها زوجتي الثانية التي أعانتي في محنتي إذ
من غير المعقول أن تبقى ليلى بدون أمٍ ترعاها
وتهتم بشأنها وهي بهذا العمر، وقمنا بتسجيل ليلى
باسمها.

حال سماع خالد بهذه التفاصيل أسهم النظر
بعيدا ثم ما لبث وان نطق بتهكم إنا لله و إنا إليه
راجعون.

الضوء

عندما نسج الليل عباءة السماء المرصعة
بالكريستال الأبيض.. أطال بنظره عالياً، محدقاً إليها
اندثرت مخيلته في تحليقها بعيداً، فاغراً فاه، مرتاعاً
من متاهات الظلمة المصحوبة بقناديلها المضئية،
مستديراً بهامته الدائرية المحفوفة بمقلتيها الاثنتين
لتقاسيم وجهه الطفولي، بعدما لاح به الملل من
فتور لعبه المعتادة التي جعلته حائق المزاج، ملتجئاً
إلى فسحة المنزل المستطيلة عليها تزيل الملل الذي
إصطحبه ملياً، أسدل أجفانه الغضة محجماً عن
أمره ناكساً هامته لشعوره بالدوار.. الليل، الضوء
سؤال موصد بعلامة استفهام، جلس برهة من
الوقت على الجانب الأيمن من حديقة المنزل،
موصولاً بأنظاره التي ما برحت أن تجد لها مستقراً
تصبو إليه، ثم استقام بقوامه الطري ماداً بزفيره
الذي أضحى كأزيز السهام، ملتحفاً بقدميه
الصغيرتين الطرف الموارب من الفسحة الموصولة

بالحديقة خالياً من وشاح النية التي لم يكن في حينها أكثر حظاً في إمساكها، منهمكاً في التفتيش عن ضالته التي مكثت في سهاد السماء لكن الجدوى دفعته أن يبتكر الأشياء ومسبباتها، ارتعدت حواسه التي كادت أن تنفلت من مهامها لتقرّبه من الجانب الأيمن للنخلة المائلة على حائط الفصل لحدود الجار من صوت أحرق لهريموء بتوترٍ حافز، متخذاً من خضرة الحديقة فراشاً للزوجية، أنذهل عند سماعه ذلك الصوت متدحرجاً بأطرافه المبعثرة ناكزاً بإحداها سنادين الجوري التي سورت عتبة الحديقة منكفئاً على كوعه ومنكبية، لكنه آثر أن لا يمتنع من دخول المطبخ مختبئاً خلف منضدة الطعام، لاهثاً بشهيقه وزفيره المتواترين جازاً على أسنانه البيض، أزاغت عيناه كأنها تريد أن تهرع من محجريها أراح فرائضه هنيهةً ليرتفع بساقيه من أسفل المنضدة ببطء شديد كنبته انشقت من رحم الأرض مخترقةً صرحها، ماسحاً بأنظاره القلقة من وراء النافذة إلى موضع الصوت، أعاد الكرّ بتماديه باحة المطبخ مهمهماً إلى فسحة المنزل، متزعجاً قدميه الصغيرتين عنوةً من الأرض رابضاً بيده

اليمنى قطعةً من الخشب تجنباً لعارض آخر، اجتاز
الفسحة، مصطفاً بجانب أحد الأعمدة التي يرتكز
عليها سقف البيت، ماداً رقبته خلفه جاعلاً من
نصفه المنصاع لعموده الفقري جسراً موصولاً من
مركز سكونه إلى مكان الصوت، لكن لم يعترضه
العارض مرةً أخرى، أخذته بضعة دقائق إلى
هنالك، رامياً قطعة الخشب التي اعتمدها للخلاص
من حالة الرعب التي خلفها له الصوت فضلاً عن
إلقاء بعض الضجر الذي رافقه وجعله يغوص في
متهاتات البحث، إنداح من مكانة وراح يتهادى
بقدميه غير المتعلقة إلى غرفة الجلوس، انحنى
ساجداً لرمقه قطعةً من الخبز التي بقيت من طعام
طيور الزينة التي احتفت بها الحديقة جمعتها بيديه
واضعاً إياها على الرف المؤاتي للنافذة، ثم امثل
ومن معه من الفراغ إلى غرفة الجلوس متدحرجاً
على طنافسها الأنيقة متفرداً بيومه المليء بالحوادث
الشيقة، تتقاذفه آراؤه البكر في تحليل الحدث،
منسدلاً على جانبه الأيسر، ملتحقاً بوسادته المميزة
وسرعان ما استرقت عيناه بنظرة خجلة على إحدى
اللعب التي ارتمت من مخيلته عبثاً لتندرج في

جوف الأريكة الموضوعة في مدخل الغرفة، قوم
عوده رامياً بكتلته على يديه وركبتيه زاحفاً إليها
محاولاً إخراجها لكنه لم يفلح، انحنى قابعاً لما
فرضتها عليه الدمية جراء المعاملة الخشنة الذي
كان يودعها لها..

ليبتكر عبد الله!!!!

التجأت مخيلته إلى زمام اللحظة التي قطفت
بها عيناه ضوء القمر.. أمالَ بعوده على ملاءة
السريـر لبضعة من الوقت، انسحبت أنظاره إلى
التلفاز الموضوع في الغرفة، يا لله موعد (المسلسلة)
اليومية أذن سيأتي والدي عن قريب. تحضر عبد الله
لسرد أغرب الأحداث التي رآها لوالده، إيذانا منه
عن معرفة الغرائبية التي خطفت انتباه ابنه الصغير
وشغلت باله فضلاً عن تفسير الأمور وتحليلها على
أبسط وجه... استقبلت مسامعه الطريقة المعتادة من
الباب الخارجية للمنزل، نهض من على السريـر
واشتد عدوه مسرعاً بلا هوادة ولا تريث وهو ينادي
بابا... بابا... هاماً بفتح مزلاج الباب الخارجية التي
ما لبث أن فتحها والده بالمفتاح مرتمياً إلى صدره،

ضامه إليه مترجلاً بتوئدة إلى باحة الدخول ملتحقاً
بسؤاله اليومي... "كيف قضيت يومك يا عبدالله؟"...
لم يكبح عبدالله والده برده عن جواب لسؤاله
المعتاد، بيد أن هذه العوائق - إن صح تسميتها
هكذا - التي ازدحمت في مخيلته وشغلت مساحة
باله المتواضع جعلته متذرعاً بجب من الأسئلة التي
أذكت سطوتها عليه:

- بابا.

- نعم يا حبيبي.

- ما هذا؟؟ مشيراً إلى ثلة من الأغصان الدانية
من شجرة لم تبلغ مرحلة الشيخوخة في حديقة
المنزل؟

- إنها أولاد الشجرة يا عبد الله.

- ارتفع عبد الله عالياً بهامته المدورة، رافعاً
إحدى يديه التي اعتلت كتله، رامياً بأنامله المدبية،
وما هذا الضوء يا بابا؟.

- انه ضوء القمر يا حبيبي.

قطب عبد الله منذهلاً، داعكاً عينيه، مستحضراً
سؤاله اللاحق لوالده الذي داعبه بقرصه من أرنبه
أنفه الصغيرة:

- وما هذا النور الذي توزع في السماء يا بابا؟

- إنَّه نور من السماء.

- وهل ينقطع هذا النور كانقطاعه الدائم لدينا؟

- كلا انه نور سماوي يا ولدي.

وكالمعتاد استف عبد الله أجوبة والده التي تشرع له أبواب استفهاماته الكثيرة فيما دلف والده إلى حجرته إيداناً من صوت زوجته لتناول العشاء، أما بالنسبة لعبد الله فقد انغمس باستكشافه وتقصيه الدائم في عوالمه الصغيرة، بحثاً عن سؤال آخر، مصحوباً بخطواته المتوهجة التي تبهر مسبرة في أغوار المحيط، لم يفت إلا القليل من الوقت وامتدت على هوانة من أمرها سحابة محت تنف الضياء المبعثرة ضامة إليها ما تعلّق في أحضان السماء المتوارية، ارتكزت عينا عبد الله باتجاه السماء ما لم تكن قد تبعت أثر السحابة ليس ثمة شيء إلا الظلام... الظلام، ارتعبت مخيلته فخب بعدوه مسرعاً إلى غرفة الجلوس مناديا بصوت يستحيل إلى صراخ... لقد انقطع النور عن السماء يا بابا... ضحك أبو عبد الله وزوجته على نحو موصول متلاقفين ابنهما المدلل الذي يفسر الأمور

بقدر إدراكه للأشياء، وعرف والده أن تبريره لم
يكن كافياً لإيصال الفكرة.

حكاية قرية

كان عارياً من الرحمة، شديد المجابهة، معتداً في آرائه حد الوقاحة، وكيف لا وهو الشاب المدلل محمد السلطان صاحب اكبر معمل بلاستيك في المدينة الذي ورثه عن والده الإقطاعي جابر السلطان والذي كان لرجال القرية التي تبعد عن معمل البلاستيك بحوالي (٤-٥ كم) حكايات مأساوية بالغة الشطط فلن ينسى اليوم الدامي الذي الحق بعائلة عواد الصكر العامل البسيط الذي أفنى حياته مطيعاً مأموراً من قبل سيده جابر السلطان والذي تقاعس في إن يزوج ابنته (أمينه) إلى رجل يفوقها بالعمر بحوالي ثلاثين سنة فلم يتهاون في حرق بيته البسيط ودمار من فيه فأصبحت حكاية الصكر عبرة لأهل القرية بعدم التباطئ في تنفيذ رغبات سيدهم، نشأ محمد السلطان في هذه الأجواء المشحونة بالمال واضطهاد الآخر والعنجهية التي كانت ملازمة له في أحياء كثيرة،

شديد البطش لعمال المعمل الذين هم من أبناء القرية وشبابها والذين لجأوا إلى العمل في المعمل عنوةً بسبب تقشف سبل العيش وفاقتها، شديد الاستغلال مسرف في الملذات والرغبات لا يغض الطرف حتى مع العاملات المتزوجات.

محمد السلطان كان على اطلاع بكافة الأحداث التي تدور في المعمل حيث وظف من المتملقين ما يكفي وكان أبرزهم (فدعم) المجهول النسب والمليبي لطلبات سيده على أتم وجه حيث تنقل إليه الإخبار التي كانت في أحياء كثيرة تنم عن حقد أو كراهية لمن في المعمل والتي ما يلبث أن يعرضها على رئيس الشفت والمشرف على واردات المعمل (سلمان المشغلجي) والذي بدوره لا يؤيد صحتها بسبب أو بأخر بعيداً عن أسلوب المخالفة والضدية لأنه يعرف أخلاق مرؤوسه ولكن بأسلوب التبرير الحذق والذي غالباً ما يستمتع منه هذه الجملة بعد نهاية كل أسبوع مداولة "اذهب لعنتم جميعاً" والتي تعودت آذان سلمان على سماعها. لم يعلم محمد السلطان عن علاقة رئيس الشفت المشغلجي بإحدى عاملات التقطيع

البلاستيكي (رقية) التي تمتاز بإطلاله بهية وعينين
براقتين ووجه ناصع ولم يبح عن هذه العلاقة أمام
أي شخص في المعمل لئلا تنقل إلى السلطان ذلك
لأنه يعلم نواياه غير المطمئنة.

اعتادوا العمال في الصباح الباكر إن يأتي
السلطان مكفهر الوجه واجماً حاقداً على من في
المعمل منادياً: سلمان بصوتٍ مرتفع:

- نعم يا سيدي؟

- أين أسماء الحاضرين؟

سلمان: يا الله ماذا لو علم بأن الحاج حاتم قد
أقعده المرض اليوم ولم يتسنَ له الحضور إلى
المعمل، ولكنه يجب أن يعلم؟

- السلطان: سلمان نعم نعم يا سيدي تفضل.

قرأها ببطيء:

- السلطان: اقطع راتب حاتم.

- ولكنه مريض يا سيدي واخبرني في الأمس

عن عدم المجيء.

- اخرس لا تجادل.

- أمرك سيدي السلطان.

هكذا كان الحال في القرية التي انتزعت منها رائحة الحياة عندما التزمت عائلة السلطان زمام الدفة. أجواء تسودها القسوة والاضطهاد اليومي والقحط. ما بين ضجيج الآلات والعمال كان محمد السلطان يجلس في مكتبه الذي اعتاد أن يراقب العمال من النافذة وفي هذا الإثناء دق جرس الهاتف

- الو خلود.
- نعم خلود... كيف حالك؟ كيف حال والدي؟
- على ما يرام.
- ماذا تريدین؟
- والدي يريد منك أن تبعث سلمان المشغلجي.
- لماذا، قالها بمرارة.
- كالمعتاد ربما يسأله عن أوضاع المعمل.
- وهل هو رقيب أموالنا!!
- هذا أمر والدي يا محمد.
- اشتد غضب محمد السلطان بضرب مسبحته على سطح المنضدة وهو يقول بصوت متوسط الارتفاع: لماذا والدي يحاول أن ينكل بي أمام هذا الحقيقير، إذ أن ما بين الحين والآخر يأمر جابر

السلطان بإحضار المشغلجي ويسأله عن أوضاع وواردات المعمل الذي اعتاد أن يراجعها بنفسه على الرغم من مرضه الذي ألمّ به قبل أكثر من سبع سنوات فحال دون ذهابه للمصنع هذه من ناحية أما من الناحية الأخرى كان ضعيف الإيمان بولده الذي كان يباغت والده ويسرقه عند ذهابه لرحلة العلاج التي قد تطول لأكثر من شهرين والتي كانت على مرأى ومسمع من سلمان ولكن ما باليد حيله، سلمان عامل بسيط لا يستطيع إن يتدخل إلا بحدود. كان كثيراً ما ينزعج محمد السلطان من ارتياد سلمان إلى قصر والده محاولاً لمرات عديدة أن يقصيه من مكانه ولكن لم يستطع بسبب مجابهة والده بالإضافة إلى ذلك كان سلمان منزعجاً من مكانه الذي يجعله وجها لوجه مع ذلك الشاب الأرعن.

سلمان المشغلجي كان مستغرباً من الحميمية المفرطة التي كان يعامله بها جابر السلطان هكذا كان يقول لـ(رقية) عندما يلتقي بها في المدينة حيث الضوضاء وزحام الناس الذي لا يستطيع أحد أن يراهما، فكانت سرعان ما تبادره رقية بالجواب "لم

يكن حميماً بل مستغلاً هكذا كانت أمي تحدثني عنه وعن تحكمه قسراً بمصائر الفقراء والبسطاء من أبناء القرية". في إحدى المرات كان لخروج سلمان المشغلجي ورقية سبباً لمشاهدتهما من قبل فدمع في أحد شوارع المدينة متعاضدين اليد باليد فسرعان ما اخبر سيده السلطان الذي كان يتربص الفرصة لطرده من المعمل، هذا ما زاد من كرهه لسلمان المشغلجي فقرر أن يدبر مكيده له بمساعدته (فدمع) مرافقه وتكون الضحية رقية. فأمر السلطان أن تكون ورديّة عاملات التقطيع مسائية بالإضافة إلى الورديّة الصباحية لوجود طليبه بلاستيك مستعجلة ليتسنى له الاختلاء برقية من خلال الإتيان بها إلى الأوفيس للتداول معها في تقطيع البلاستيك، هذا ما جعل سلمان مستغرباً من ورديّة التقطيع المسائية ذلك لأن عملية التقطيع تحتاج إلى مدة لكي تأخذ نصيبها من الجفاف لتباشر العاملات بتقطيعها، على أية حال لن يتوانوا عمال وعاملات المعمل عن عدم تنفيذ أوامر السلطان، فمن بين ضجيج الآلات وانشغال العمال أرسل السلطان إلى فدمع لكي يحضر له رقية:

- نعم سيد فدعم.

- السلطان يُريدك.

وقبل أن يأمر السلطان فدعم بإتيانه رقية بنصف ساعة ذهب فدعم بدون علم سلطانه إلى سلمان وقال له عليك الحضور في الساعة التاسعة مساءً إلى المعمل، تفاجئ سلمان من هذا الرأي متسائلاً:

لماذا لم يخبرني السلطان بنفسه؟ وبما يحتاجني هذا النزق؟ هل اعمل مع عاملات التقطيع؟
"رقية وهي تصعد السلم بتأوه، ماذا يريد مني هذا الأحمق؟"

طرقت الباب:

- السلطان.... من؟

- أنا رقية يا سيدي.

- أهلاً أهلاً بمسؤولة التقطيع... أهلاً بالعاشقة

الولہانہ!

رقية بخوف وذهول!!

باغتها بغلق الباب، وأمر فدعم أن يغلق الباب من جهة الدخول لينقض عليها.....

- السلطان: كيف تدعين بالشرف والعفة وأنتِ على علاقة بسلمان المشغلجي، متقرباً منها وهي تباعد باتجاه الزاوية الأمامية للباب.

- رقية: نحن نحب بعضنا ومتفقين على الزواج، وما شأنك أنت؟

وفي هذا الإثناء اخذ السلطان بضمها إليه وهي تستغيث... لكن كيف؟ وضجيج الآلات وانشغال العمال بما لديهم من أعمال منشطة حالت دون سماع استغاثة رقية.

"ابتعد عني، محاولة منها أن يرأف بحالها"

الساعة التاسعة دخل سلمان إلى المعمل شاهد فدعم واقفاً على السلم المؤدي إلى الأوفيس، سألهم مستفهماً عن السلطان، فأجابه نعم ومعه رقية، هرع سلمان نحو الأوفيس، عند الاقتراب من الباب سمع استغاثة رقية فلم تطاوعه قدماءه على الوقوف لاحظ الباب مغلقة من جهة الدخول مع وجود المفتاح هذا ما ساعد سلمان على فتح الباب بسهولة ماسكاً بيده قضيباً من الحديد كان مرمياً في إحدى الزوايا فأخذ بضرب محمد السلطان على

رأسه الضربة تلو الأخرى فأرداه قتيلاً وشاهد رقية وهي تبكي وتتلوى ممزقة الثياب منهكة القوى.

بقي لدى السلطان رمق بسيط أسعفه لإخراج مسدسه من الدرج القريب من يده واخذ برمي الرصاص على سلمان وقتله، ربما لصوت الطلقات أثرها على سامع العمال فهرعوا إلى الأعلى بصحبة فدعم المدبر لهذه الإحداث وشاهدوا السلطان وسلمان مرميين على الأرض وقد غطّو بدمائهم مصحوباً بعويل رقية ونحيبها.

ما بين هذا المشهد ارتفع صوت فدعم عالياً وهو يصيح:

- لقد أخذت بثأرك يا عواد الصكر من جابر السلطان... لقد أخذت بثأرك يا عواد الصكر من جابر السلطان... لقد أخذت بثأرك يا عمّ.

العمال بذهول واستغراب شديدين!!

ولدى سلمان ابن عاملة المصنع التي اغتصبتها قبل ثلاثين سنة الذي لم يكن يعرف بهذه الحادثة سوى عمي عواد الصكر الرجل المسكين الذي أحرقته وعياله لئلا يكشف فضيحتك القذرة.

الناس والعمال باستغراب شديدين، وهل سلمان
ابن جابر السلطان؟!!!

وهو يصيح:

"لقد أخذت بئارك يا عم

لقد أخذت بئارك يا عم".

سادن المطبقة

حالما يسمع بالموت يستشرف رزقه القادم من أقصى الله إذ لا يستمرىء أن ينطق بجملته الأولى التي يفتح بها يومه "لا اله إلا هو"، فالرزق موصول بكم الأموات أو المقتولين غدرًا أو المتفحمين بسيارة مفخخة إيذاناً بدين جديد يعتزم الغم بالخلق كتبرير على إرضاء الآلهة - لا عليكم فأنا شديد اللغو والتحرش بالذوات المدرجة جرائمهم وقد نصحتني جدتي أن لا أكثر من الثروة خوفاً من إيداعي بذاكرة تتصف إحدى الجدران مكتوب عليها "الفاتحة" - يسط ذراعيه بعدما يرفل بأسماله المتهرئة ولفاعه الحائل مشمراً عن محياه بعينه الكاشفتين ونواجهه المطبقة وكأنها حرب ضروس لا يدانيها شيء آخر فإذا ما تمادى بعدوه المتزن تسحبه أذناه مستقرة حيث نشيج البكاء الذي أدمنه وأصبح جزءاً لا يتجزأ من كينونته الحافلة بأنغام الموت والفراق، يودع يومه مدفوناً عند آخر ميت

ابتلعتهُ أرضُ الله ليتبرأ منه كبراءة الحياة من الموت
مدخراً ما تبقى منه لاستقبال صباحٍ آخرٍ يولد حياً
من رحم الكون لينذر الملائكة بفهرسة الأسماء
للتخفيف عن كاهل الرب أسراب الطيور المسافرة
إليه، مساوؤه الموحشُ متصبّبٌ بمنابرٍ مغبرةٍ محفوفةٍ
بصورٍ تحتل وجه الشاهدة وأسماء المتيمين
بالرحيل وربما بعض الأبيات التي تُن فقدانهم،
كان محملاً بجسدٍ قديمٍ جداً بقدم الشمس التي
ارتكزت عليه بأيامه القائظة لينفلت من سخام
الموت سائراً على قدمٍ وساقٍ موصولة من ضمن
أثاث جسده الخائر، ملامحه المتسمة ما انفكت
عنها انطباعات المكان وارتساماته الجديدة، فهو
المكمل بحكايات وأسماء وتواريخ موتاه إذ لا
تستوعب مخيلته أحوال السابلة من خارج المقبرة
فقد لا تجد مكاناً لها في ذاكرته أو حتى جواً ملائماً
لاندلاقها من شفثيه واستحبابها له، يطرق الأرض
لتفتح له إمعاناً لاستقبال ما هو آتٍ إليه فإذا ما
استأنها عليهم ارتفع بهامته لطلب الرحمة
والغفران للميت، يبصرُ يومَهُ بجوقة النائح أو
البكّائين بعداً عن أحبتهم حيث المهاجرون إلى

هناك، (عناد) الحارث الأمين على موتاه القادم من
أصقاع الأرض ليكب رحاله في مقبرة وادي السلام
المكان الرحب لاستيعاب لجة العوز ومازر القحط،
عجيب! -كيف لوطنٍ بحجم الخطيئة أن تولد
أحلامُ أبنائه في مقبرة- لربما المقبرة هي الفسحة
المتوفرة في علبة الحياة لعقد قران الفقراء مع إله
السكينة هرباً من صراعات القردة المتكالبين على
مساحة حكمٍ إمعاناً لغرائزٍ باتت متيقظة فيهم، (عناد
الدفان) هو الوحيد من يتكئ على أقبية وممرات
المقبرة يعرفها جيداً، يرتخي ما بين فضائها المتد،
يصول ويجول بأنظاره المتوهجة علّه يلمح من هنا
أو هناك قادماً آخر، فإذا ما تناهت إلى مسامعه
جمل التكيير ونشيح البكاء الذي ينذره بالعمل
يحث خطاهُ بالسرعة الممكنة لاستييان مخدع ملائم
للضيف الدائم فيأخذ على عاتقه حفر اللحد وإنزال
الجثة فيه، موصولاً بواجب التلقين والكلمات
المحفوفة بالتأوه، مسافاته موت، مواعيده موت،
يعيش الموت ليجتر الحياة فالمسافة ما بين هذا
القبر وذاك إن قيست بهول الفاجعة هي المسافة
نفسها هذا في مفهوم عناد الدفان، الألوان نفسها

والسكون الذي يعتلي المكان نفسه وغبرة الموت التي تحضن الشواهد نفسها أيضاً إذ لا يوجد تفاوت في نظره أبداً فمن مات برصاصة بائسة أو من تناثرت أشلاؤه لا يستحسن إظهاره بهالة مميزة ماعدا إطلاق كلمات العطف والمغفرة، عناد لا يستهين بعمله أبداً من خلال ممارسته لعملية الدفن التي راح يعتاش من خلالها، إذ لا يهتز أو يتهاون بل على العكس من ذلك، فمن بعد إتمامه واجبه واستحصاله النقود يركن نفسه في زاوية من شعبة الوفيات متأملاً في سره (ماذا لو مات الكون برمته؟) هذا السؤال اخذ حظوته من تفكيره البسيط على الرغم من أنه بلغ العقد السادس فظل يعصر مخيلته بتحليلات لا عد لها مخمناً بموت آخر شخص وعن كيفية موته فلا توقظه من رقدته هذه سوى نباح الكلاب التي حفظتها مسالك المقبرة ومخابئها.

المكان الذي أناخ إليه عناد ما هو إلا بقعة مكتنزة بالتناقض يعيش بها هذا الرجل الكهل بيت من الصفيح يأويه من تقلبات المعيشة التي أنهكته

وجعلته يلتجئ إلى المقبرة، فمن لم يجدوا لهم مكاناً يتسع لأحلامهم أو أناساً تستقطب همومهم وشدة ضنكهم عليهم أن يلتحقوا بركب الأموات إذ لا يوجد في هذا المكان زحام المرور ولا وجود لسياسيين يمتهنون العهر المنظم ولا أجواء يسودها التعصب القبلي ولا القحط الديني ولا قطاعات معنية للميتين فالقادم مرحباً به أياً كان انتماءه لا وجود لعراكٍ وتهجيرٍ مذهبي أو طائفي ثمة عدالة إنسانية تعطي لمن أو تمن إليها نومة هائلة، فلا لغة تعلو في هذه الفسحة غير لغة السكون. عناد هو الرائي إلى أفقٍ جليٍّ في مملكته التي يتفرد بها لا جديد فيها سوى ازدياد ملحوظ بأفراد عائلته وهذا ما يجعله يستوعب أسماء آخرٍ في ذهنه، لا تستطيع هذه الأسماء أن تتسلل منه خلصة أو تغادر حيث القادم الجديد فمتى ما تلصصت عيناه بتجوالها الدائم راحت تنكبُ على لوحٍ من هذه المملكة لتستقر في ذاكرته لولادة متوفٍ، فهو الحاذق المحترف في مشافهة الموتى ومصارحتهم بما يختلج في داخله من انفعالات باتت تطفو عليه، فله من الأصدقاء بسعة الموت الذي التحف المكان

وحسب أقدمية العلاقة تظهر من خلالها قدم الصديق الميت إذ ترتبط علاقته به بتاريخ وفاته فإذا ما تقمصه الضنك يرنو إلى أصدقائه الذين أصبحوا علامات فارقة في المقبرة لينسلخ من مخزون الفراغ الذي أحاطه وجعله يمثل للحديث معهم:

صديقي الشهيد (فتاح) هو المدون في تاريخ ولادته بأنه ميت ولكنه أخفى على من سرقوا الحياة وحاولوا طمس الخنوع بالهدنة والهزيمة بالانتصار فبان كأنه هكذا (الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٤ / الفاو).

وهناك أيضاً:

الشهيد (محمد) قتل عن طريق الخطأ برصاصة طائشة من أحد أفراد شركات الحماية الأمريكية وهو ابن العشرين وجعاً (بغداد/ الفضل ٢٠٠٦).

(جبار) مات ميتة جاهلية.... وهلم جرا.

يتبادل معهم الحديث على نحو متصل شريطة أن ينعم بفسحة يسيرة من وقته المستباح، فمن بعد جلوسه مع أصدقاء الموت يهجع على رابية من الزاوية اليسرى من مأواه حيث بيت التنك ليكرس قوام ذهنه بالنظر إلى المقابر التي أخذت بيوتاتها

بملاحقة الأفق، ويلاحظ الاختلافات التي التحقت
بمنازل موتاه فبعضها ليست من النوع الباردة فقد
هرمت وشاخت فالتحقت بمستوى الأرض أما
البعض الآخر فما زالت رقيقة حدس الأموات
وتنبؤاتهم، النخلة الباسقة التي تنتصف المقبرة
تخبرنا جيداً بأن الحياة وافرة في هذا المكان،
الطيور التي تمارس نفسها وتحط بأعشاشها في
الوادي هي أيضاً تشرع لنا بمفهوم الطمأنينة، عناد
يعرف كل هذه الأمور أو ربما يحاول أن يعرف
المزيد عنها كي لا تستولي عليه برائن الشؤم
والبؤس بل يشعر بسعادة عندما يعتمر كوفيته ويسبر
مسارب القبور التي أدمنها جداً ويعتلي ألواحها
الراكدة لينجذب إلى عينيه أولياء الله الصالحون هود
وصالح ثم يغوص في دهاليزها الصامته ويستمتع
إلى تهذبات الموتى التي تنز من بين جوانح القبور
لتسقط قدامها جميع اغواءات الحياة الملوثة،
يستمتع إليهم جيداً يستوعب مآزرهم التي تمرغوا
بها وهو مسرف النظر لمن حوله يكاد أن يتفاعل
لشكواهم وأنيנם ومن ثمَّ يفرد سيكاره من العلبة
التي رافقته ملياً، منكفئاً على أحد القبور المحيطة به

لئس يد قمة اللحظة من خلال الدخان الذي اخترق
رغامه لئجعله أمير المكان.

مفازة اجتماعية

وكالمعتاد لم أتعكز على بديهيات الأمور التي أخذت منا الكثير وأصابتنا بعناء وهلاك.. ولكن كيف؟ وهي التي تضجّر ما بين الحين والآخر وتتذمّر جاعلةً من البيت مكاناً للقدح اليومي وملهأةً لاستفحال الشؤم والعويل الذي أقفر بيتنا، وجعله مثاباً ليتم الفرحة وضراعتها.. هذا هو صباح زوجتي (سعاد) الذي جعلني حائق المزاج متجرعاً من البؤس أنفاساً، محاطاً بالقسوة وتعقيد التفكير.. لم تكن سعاد أكثر دعةً ورخاءً في بيتنا الجديد، الذي أدركنا به ثلاثة أشهر ونيفاً على الرغم من مساحته الفارحة قياساً عن سابقه، فضلاً عن وجود بيوت أقاربها اللذين ملئ بهم الشارع المطل على سوق شعبي مزدحم، هذا ما زاد من حميمية المكان وجعله أكثر بهجةً في احتواء الملل، إلا أنها ما زالت بتوترها اليومي وثرثرتها الواجبة هذا ما زاد من سيمفونية التأوه الصباحي التي جعلتني ضنيناً

في فعلتي هذه وكأنه عملٌ موضوعٌ لا يقبله الدين،
هذا وقد أرغمني الحال بأن أجتبي راحتي بالخروج
من المنزل والتجوال ما بين أروقة السوق القديم،
لربما لزحام المتبضعين وحشر نفسي معهم قادني
بأن أنسل من هذا العذاب اليومي للخلاص من
مهاثرات زوجتي العنيدة التي تتهكم صباحاً ومساءً.

صباح آخر والفجوة تتسع في البيت...

استيقظت في تمام الساعة الثامنة صباحاً، امتثلت
إلى الحمام بعدما أطلقت عنان صوت الراديو،
غسلت وجهي بالماء لإزالة سكرات النوم، حلقت
ذقني، تسللت قدماي إلى المطبخ لتحضير الفطور..
وأنا أنادي بصوت عالٍ.. سعاد.. سعاد... ولكن لا
حياة لمن تنادي، علماً أنني متيقنٌ من عدم اكترائها
لمناداتي، مما أثار انزعاجي وعدم بقائي في البيت
تأهباً لحدوث معركة متوقعة يكون أبطالها نحن..
سعاد يا سعاد، وهو ينظر إليها ملياً... لم تنهض
مبكراً كعادتها "يا الله" ما الذي تفعله زوجتي في
البيت، هكذا كان يتمم السيد (أحمد) الرجل
المكيث، والمعلم المتقاعد الذي أقعد عن عملة

التدريسي لبلوغه السن القانوني متحسراً على نعمة الدوام المدرسي الذي يتعد من خلاله عن مزاج زوجته ولو لنصف اليوم. في هذه الأثناء دق جرس الهاتف الموضوع على المنضدة، مما ساعد على استيقاظها بعونٍ منه، وهي ترمي بجملها الرنانة "من الذي أزعجني في هذا الوقت وتكرارٍ مَرٍ يستحيل إلى صراخ".

- السيد أحمد: الساعة التاسعة صباحاً يا امرأة وهل هو وقت محظور الاتصال فيه؟ صوت الهاتف أبلغ وقعاً بالإذن من صوتي... عجيب! هذا ما كان يختلج في قرارة صدره وهو في غاية الغضب ملتزماً فسحة المنزل للجلوس على كرسيه المعتاد فضلاً عن إيقانه بنوايا زوجته غير المطيعة ربما هو السبب البالغ في إشعال فتيل النار بالبيت.

- سعاد: الو: نعم.. من؟ وهي تتمغظ محاولةً منها إزالة غشاوة النوم.

- أنا وليد يا أمي.

- نعم يا بني:

- صباح الخير يا أمي.

- صباح الخير يا حبيبي.

- هل أنتِ نائمة.
- نعم.
- وكيف حالكما؟
- ليس على ما يرام.
- ولماذا يا أمي؟ هل أنتِ مريضة؟ وكيف حال والدي؟.

بدأت سعاد تسرد شكواها وتذمرها المعتاد من السيد أحمد بعدم اكترائه لها، وانكماشه على نفسه، وانعزاله عن الآخر خاضعاً لرغباته المتمثلة بالحديقة المنزلية والمكتبة منصاعاً لكلتا الرغبتين، غير متودد لمن حوله في البيت، بل والأكثر من هذا لم يبادلني الكلام على مدار اليوم وكأنني جارية تستسمح عطفه، أو ترجو نواله.

أخذ وليد على عاتقه تهدئتها وتصييرها، علّها تخفف من حداثها على الرغم من أنّه يعرف حال أمه وما عليها من مآثور سلبي مردوده بالغ الأثر، المهم نجح وليد هذه المرة من تغيير حال والدته للأحسن وانتهت المكالمة بتأدية فرض الوداع.

لم يفت وليد أن يشهد ما بين الحين والآخر المهاترات التي تحصل في البيت، إلا أنّه كان

سرعان ما يستدرك الحالة بالتراضي حفاظاً على صفو العائلة على الرغم من إيقانه الشديد من مشاكل أمه المفتعلة وهذا السبب الأوفر حظاً من عدم عيشه معها وزوجته في مكانٍ واحدٍ إشاراً منه بأن لا يعصي الله من خلالها.

وهذا هو ديدن المعلم المتقاعد السيد أحمد بعد إكمال الفطور وقراءة الأخبار التي تعج بها صفحات الصحف المحلية والعربية، يلتجئ إلى حديقة المنزل قبل توثبه للسوق الذي أصبح فرضاً رسمياً غير قابل للاستهلاك، فيسقي وروده ويزيل ما هو ضارّ من النباتات، فضلاً عن إزالة الدغل من الثمر واستحصال الجيد منه، علّه يزيل الغمامة السوداء التي ما زالت موصولة النث بلسان زوجته ناهيك عن استحسانها للناظر.

وبعد الانتهاء من أعماله اليومية التي يؤديها على أتم وجه وبمنهم واعتناء شديدين يهتم بالخروج من المنزل للذهاب إلى السوق ليرى عامة الناس من صغير وكبير من كلا الجنسين هذا ما جعل من السوق موئلاً لجميع شرائح البشر...

يرى الحاج إسماعيل بائع الزبيب الذي يزيد عمره على السبعين عاماً وهو موصول العمل بدون مللٍ أو كلل فيحيه بـتحيّة الصبح ويردّفه بمثلها مصحوبةً بابتسامة وقورة، يرى بائعة الخضروات (كرجية) التي تعلن عن بضاعتها بصوتٍ مثير للانتباه فيتسمر نحوها برهة من الوقت ثم يتهادى بخطواته الهادئة، يرى مجنون الحي الذي سرعان ما يطلب المساعدة من أي وافد يشرع بالدخول إلى السوق فيجده مما انعم الله عليه، يشاهد الدهشة التي ارتسمت على وجوه الأطفال لازدحام مخيلتهم لكل ما هو جديد وهم يمثلون لخطى أمهاتهم المكللات بالوجع، يلفت نظره أغلب الرجال الذين يصطحبون أولادهم ما بين أروقة السوق لمرات عديدة ولا يتبضعون، وأخيراً يتفياً حكايات الناس في مقهى متداعية الأركان مفعمة بأوجاع الناس وهمومهم ينسجم معهم ويبادلهم التحيّة برزانةٍ ووقار...

يجلس بعضاً من الوقت ليتناول الشاي بمزاج غائر وفكرٍ متشظٍ وهو يسرح بالجمال الأخيرة التي أودعته إياها زوجته، إلى أن تمد به قدماءه إلى جوف

السوق وهو حاد النظر مسرف التحديق لمن حوله
من المارة بقلب مكلوم:

- يا الله لماذا أنا هكذا؟ لماذا لا ترفل زوجتي
بالنعمة التي أودعنا إياها الله عز وجل؟ فيبلغ بالسيد
أحمد الحنق مداه والضجر حاجته فما إن التفت
إلى احد الأطفال الذي كان كثير اللغو وهو يسحب
يد أبيه اليسرى إيداناً منه بالرجوع إلى البيت ولكن
سرعان ما أردفه والده بجملة أرغمته على قبول
الواقع (التزم مكانك يا ولد لا نذهب إلى البيت ما
لم تزل مكائد اللغو عن والدتك)....

ابتسم السيد احمد كثيراً مغيراً وجهته إلى البيت
إيماناً بحتمية القدر وأن لا مفر منه أبداً.

أنتى مدبرة

كنت أصبو إليه بدمائةٍ على الرغم من عدم معرفتي به، ما بين نبرات صوته سهلٌ هادِرٌ ينبعث من تضاريس لغة كانت مودعة منذ زمن، هادئٌ كأنه الليل، يتحدث ويصمت برهة، لم تنساق حواسه إلى زحام كلمات المقهى التي ما برحت أن تكون راويةً لوجع تراثي، لم يتكهن الحديث أو يصطنعه بل كان منهمكا في استطراده الموجه، كانت عيناه تبحثان عن أفقٍ أكثر رخاء، لم يبادلني النظرات التي حفظت ملامحه من خلالها وهو يتلوى بالحديث مع أحد الشباب الذي كان شديد الإصغاء لهذا الشيخ وهو يقول:

- لقد أخذت مني الكثير ولم تمهلني القليل يا ولدي فقتلت واستباححت وتكالبت علينا من كل حدبٍ وصوب وألجمتنا بجراحٍ لم تندمل بعد ربما جعلتنا نحلم بالحياة.

- الولد رافعا رأسه متجاوبا معه بالحديث،
ولماذا لم تنتقل إلى مكانٍ آخر ليتسنى لك
الخلاص من برائتها؟ ..

وفي منتصف حديثهما مسك الشيخ محفظته
وأخذ يدخل مبادراً بتهكم شديد:
"لم تعطني الفرصة يا ولدي وبتكرار غائر
بالحزن"

- آه آه: من هذه الأنثى التي أكلت الأخضر
واليابس، لولا عدم معرفتي بك ومن معك
لسارعتك بالسؤال و استفهمتك الحال فمن هي
التي أخرست الهمم وأطاحت بالورى ببالح النقم
ودمرت واستباح، جالت في مخيلتي أسئلة
كثيرة.

وقبل أن يهّما بالذهاب، قال الشيخ:
- إنَّ للحرب أوزارها يا ولدي...
فسرعان ما أشبعت فضولي واسترحت فالتزمت
جوارحي طي الكتمان.

تنقيب

مَنْ يَدُلَّنِي عَلَيَّ سَوْفَ أَهْتَاجُ فَرْحاً وَأَشْرَكَهُ فِي
كَعْكَةِ الْعِيدِ الَّتِي تَصْنَعُهَا جَدَّتِي، هَذَا هُوَ رَهَانِي
لَكُمْ.. لَمْ اَعْتَدْ عَلَى كِبَتِ مِشَاعِرِي الْمَتَمَخِضَةِ إِلَى
بَرَائِكِينَ مَتْرَعَةٍ بِأَسْئَلَةٍ تَلْسَعُنِي مَتَى مَا سَاقَتْنِي
مَخِيلَتِي لِلْبُوحِ عَنْ مَكْنُونِ الْوَجَعِ الْمَتَنَامِي بِنَمُونَا
غَيْرِ الْمَدْبِرِ لَهُ، لَكُمْ تَطَوَّعْتُ كَثِيراً أَنْ أَعْثَرَ عَلَى سِرِّ
هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي تَتَصَاعَدُ وَتِيرَتُهُ بَتَهَافَتِ الْأَيَّامِ
الْمُوصَدَةِ وَلَكِنَّ الْحَصِيلَةَ جَعَلْتَنِي أَنْ لَا أَتِمَادِيَ
بِالتَّفَكِيرِ كَثِيراً حَتَّى أَذْخَرَ مَا تَبَقِيَ مِنِّي أَوْ مِنْ عِلْبَةٍ
السَّكَائِرِ لَهُمْ آخِرَ، أَيْنَ الْمَفْرُ؟ لَطَالَمَا أَرَدْتُ هَذِهِ
الْعِبَارَةَ وَأَنَا أَتَذَكَّرُ صَدِيقِي (غَافِل) الَّذِي وَشَّوْشَ لِي
ذَاتَ صَبَاحٍ هَرِمَ خَارِجاً مِنْ عَتَمَةِ هَذَا التَّهَكُّمِ أَنَّ مَا
يَخْتَلِجُكَ مِنْ سَوَادٍ حَاوَلَ أَنْ تُوَدِّعَهُ بِمَفْكَرَتِكَ
الشَّخْصِيَّةِ وَتَلْقَى بِهِ طَيِّ الْحَرَمَانِ عَنْ أَيِّ شَخْصٍ
غَيْرِكَ وَإِلَّا تُودِعْ فِي إِحْدَى أَرْكَانِ الْأَمْنِ الْعَامَةِ إِنَّ
لَمْ تَرَوْضَ لِسَانَكَ عَلَى عَدَمِ الْإِدْلَاءِ بِمَا تَضْمُرُ،

المشكلة أنَّ مفكرتي قد انتهت بانتهاء السنة الأولى
من حياتي وما زال لفاع الكلم الأسود متأبطاً زمام
الجدوى خاطئاً بأذياله وهج الروح الملهبة ليسترق
لساني خلسةً للروح عما يجول بداخلي فيكبر ويكبر
عابراً أسيجة الصمت الأزلية، لن أتناسى غافل ذلك
الذي لم يغفل عن الحقيقة أبداً بل لم تغفله هي
مدوناً ما التهمت كينونته من ظلم بأفكار زانية - كما
عدتها السلطة وقتئذٍ - تمثلُ الإساءة لها ولم نعرف
عنه أي شيءٍ لحد هذه اللحظة، ما زلتُ أمارسُ
الزعيقَ عالياً بقلمِي المعبأ الماءَ وأجوبُ مساحة
الورقة التي قد لا تسوعبُ المسخ الذي نعيشه
مبادراً بأن أذرع مساحةً أخرى لأبدأ بتعفير جبينها
علها تودعني الى مكانٍ لا يجيد التسكع بانتكاساتنا
وأخذ مهدآت الليل، ما زلت يا غافلُ أبحثُ عني
كثيراً علني اقتص من الضواري والعسس الذين
جعلوا من مؤخراتنا تجيدُ النظر لمديات أبعد مما
نتصور، لا تقل يا صديقي كن كالأرض لا تبخ سراً
لأي كان فالأرض ما عادت تحفظ خطانا فكيف بنا
ان نستأمنها علينا، أجل ما أخشاه أن خلل السواد
المتصاعد من دواخلنا يتمادى بالصعود عالياً

لتصبح سماءً ثامنةً لا نلوذُ بغيرها في حين أنني
أشاطرُ نفسي وأدللُ برهانٍ انسحب لأجيالٍ متواليةٍ
لاهثين بالتنقيب عني بين ركامِ الأزمنةِ المتناثر على
أملِ الظفرِ بالكعكةِ على الرُغمِ من أن جدتي قد
التحقت بركبِ النائمين طويلاً.

المؤلف في سطور

ميثم الخزرجي

الاسم: ميثم محمد علي كاظم الخزرجي

الاسم الأدبي: ميثم الخزرجي

التولد: العراق - النجف - ١٨/٢/١٩٨٧

التحصيل الدراسي: ماجستير علوم الحاسبات

تخصص ذكاء اصطناعي

رقم الموبايل: ٠٠٩٦٤٧٨٠٢٥٤٣٠٩٩

الإيميل: mytham.ma87@yahoo.com

- عضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

- عضو اتحاد الأدباء والكتاب فرع النجف.

- أمين الشؤون الثقافية السابق في إدارة نادي السرد

في اتحاد الأدباء والكتاب فرع النجف.

المؤلفات والمشاركات الأدبية:

- بريد الآلهة: قصص قصيرة، الفائزة في مسابقة الشباب عن اتحاد الأدباء والكتاب في العراق لعام ٢٠١٩، صدرت عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقي.

- النزوح نحو الممكن: قصص قصيرة، منشورات اتحاد الأدباء فرع النجف الشرف، صادر عن دار أحمد المالكي، ٢٠٢٠م.

- مُتَنَزَّهُ الغائبين: قصص قصيرة، صادر عن دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع، ٢٠٢٤م.

- مجموعة قصصية جاهزة للطبع.

- مقالات في المعرفة والثقافة، كتاب جاهز للطبع.

المسابقات والمشاركات:

- شارك في عدة ملتقيات للسرد من أهمها ملتقى الشباب العربي المقام في دولة الكويت من خلال ترشيحه لتمثيل العراق بالقصة القصيرة عام ٢٠١٧ بالإضافة إلى مهرجانات للسرد خارج المحافظة.

- (تحولات النظام الثقافي في الرواية العراقية المعاصرة) ورقة بحثية شارك بها في مهرجان بين ثقافتين الذي أقيم في السعودية عام ٢٠٢٤.

- فاز في مسابقة الشباب الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب العراقي عن مجموعته القصصية بريد الآلهة لعام ٢٠١٩.

- كرم في مهرجان عيون للإبداع العربي دورة الموسيقىار العالمي نصير شمه من ضمن الشخصيات الفاعلة في الثقافة والأدب.

- فاز في مسابقة دار سطور العراقية للقصة القصيرة عن قصته (غصة كونية).

- فاز في مسابقة جريدة دليل النجف للقصة القصيرة عن قصته (صراخ متئد).

- فاز في مسابقة دار تشرين المصرية عن قصته (سادن المقبرة).

- فاز في مسابقة دار مها المصرية عن قصته (الغرفة).

- فاز في مسابقة دار السكرية المصرية عن قصة (ما لا يدركه الحلم).

- أذيع نصه (الغرفة) في البرنامج العربي "قصص مسموعة من السودان والعالم العربي".

- عين الجحيم: النص الفائز في مسابقة قصص على الهواء التابعة لمجلة العربي الكويتية بالتعاون مع إذاعة مونت كارلو الفرنسية العدد أبريل لسنة ٢٠١٩.

- محنة الرائي: النص الفائز بالمرتبة الأولى عربياً في
مسابقة قصص على الهواء التابعة لمجلة العربي الكويتية
بالتعاون مع إذاعة مونت كارلو الفرنسية العدد أبريل لسنة
٢٠٢٢.

- القائمة القصيرة في جائزة نيلسون مانديلا للآداب
عن مجموعته القصصية (محنة الرائي).
- تناولوا نتاجه القصصي في الدراسات الأكاديمية
داخل العراق وخارجه.
- ترجمت بعض من أعماله إلى اللغة الفرنسية

الاهتمامات:

لديه اهتمامات كبيرة في الاطلاع على المناهج النقدية
ونظريات المعرفة والأسطورة والميثولوجيا، وكتابة القصة
القصيرة وكتابة المقالة الأدبية والاجتماعية والسياسية وقد
نشر نتاجه الأدبي في أكثر من مجلة وصحيفة عراقية
وعربية مقروءة مثل (مجلة الأقلام التابعة لوزارة الثقافة
العراقية -مجلة الأديب العراقي التابعة لاتحاد الأدباء
والكتاب العراقي - مجلة آفاق أدبية التابعة لدار الشؤون
الثقافية في وزارة الثقافة العراقية - مجلة العربي
الكويتية - المجلة العربية السعودية - مجلة الإذاعة

والتلفزيون المصرية - مجلة البيان الكويتية - مجلة
الرقيم العراقية - مجلة السنبلة العراقية - مجلة الشارقة
الإماراتية - مجلة أفكار الأردنية - مجلة الفجيرة
الإماراتية - مجلة أدب ونقد المصرية - المجلة الليبية -
مجلة البحرين الثقافية - مجلة الفيصل السعودية - صحيفة
الصباح - صحيفة الزمان - صحيفة المدى - صحيفة
العالم - صحيفة طريق الشعب - صحيفة المواطن -
صحيفة بلادي - صحيفة المستشار - صحيفة العراق
اليوم - صحيفة النهار - صحيفة الشرق - جريدة القصة
المصرية) بالإضافة إلى مراكز ثقافية عديدة.

المحتويات

الإهداء.....	٥
جمال مضمهر.....	٧
غصة كونية.....	٢٧
النزوح نحو الممكن.....	٣٩
إعلان سر!.....	٤٧
الضوء.....	٧٣
حكاية قرية.....	٨١
سادن المقبرة.....	٩١
مفازة اجتماعية.....	٩٩
أنثى مدمرة.....	١٠٧
تنقيب.....	١٠٩
المؤلف في سطور.....	١١٣
المحتويات.....	١١٩